christianlib.com

دراسات لاهوتيّة

الأُنثروبولوجيا المسيحيَّة

(٢)

الإنسان بين زَلَّتِه وخَلاصِه

الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

www.christianlib.com

دار المشرق

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأُنثروبولوجيا المسيحيَّة

(٢)

الإنسان بين زَلَّتِه وخَلاصِه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأُنثروبولوجيا المسيحيَّة

(٢)

الإنسان بين زَلَّتِه وخَلاصِه

الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

دار المشرق

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لا مانع من طبعه

بولس دحدح
النائب الرسوليّ للّاتين في لبنان
جعيتا، ٢٢ أيّار، ٢٠١٥

جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ٢٠١٥
دار المشرق ش م م،
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان
www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-5504-4

التوزيع: مكتبة إسطفان
موزّعون-ش.م.ل.
ص.ب: ٥٠١٦٥، فرن الشبّاك
بيروت - لبنان
هاتف: ٢٨٣٣٣٣ (٠١)
فاكس: ٢٨٩٣٣٣ (٠١)
info@librairiestephan.com
www.librairiestephan.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المُقدِّمة العامّة

تكملةً لِما سبق في المُجلَّد الأوّل، حيث تحدّدت معالمُ الإنسان على صورة الله كمِثاله، نُصوِّب نظرنا، في هذا المُجلَّد، نحو **زلّة الإنسان وخلاصه**، بوعد من الله وتحقيق منه.

وسنقتفي هنا، كما في المُجلَّد السابق، المنهج نفسه، إذ ننطلق من رِوايات زلّة الإنسان كما وردت **كِتابيًّا** في سِفر التكوين، ونستشفُّ آثارها، ونستعين **بقراءة آباء الكنيسة** فيها، لِما تُمثِّله من بالغ الغِنى الأنثروبولوجيِّ والثِّيولوجيّ، ثُمّ نُحكِّم **العقل** بقِراءة مُعاصرة في الفلسفة والعُلوم الإنسانيّة حول بعض القضايا المطروحة على الساحة الفِكريّة.

وسنتّبع **التصميم** الذي استعملناه في المُجلّد الأوّل: ففي قِسم أوّل، سيتناول **القِراءة الكِتابيّة الآبائيّة**، في ما يتعلّق **بالزلّة**، وفي قِسم ثان ما يختصُّ **بالخلاص**، وفي قِسم ثالث **القِراءة اللاهوتيّة**.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القِسم الأوّل

القِراءة الكِتابيّة والآبائيّة في الزلّة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مُقدِّمة القِسم الأوّل

سنتحرّى عن **معاني الأُسطورة الكِتابيّة**، ونستعين في ذلك بفهم الآباء إيّاها، وذلك في التصميم الآتي:

١ - سنكتشف **غواية الحيّة** مع آدم وحوّاء، **فتشويه صورة الله** في الإنسان من جرّاء **تجاوبهما مع الحيّة**، **وعدم اعترافهما بخطئهما**.

٢ - سنستنتج ما يترتّب على تشويه صورة الله من **تشويه في علاقة الإنسان بذاته**، وبين **الرجل والمرأة** أيضًا، وكذلك بين **الإنسان وأخيه الإنسان**.

٣ - سنُقيِّم عاقبة الخطيئة في **تشويه علاقة الإنسان بالخليقة**، لاسِيّما **بالحياة** في **عمل** الرجل، وفي **ولادة** المرأة، وكذلك **بالموت**.

٤ - سندرس قضيّة **وِراثة الزلّة** وكيفيّتها، من زاوية **تضامن البشر في الخطيئة**، كما أنّهم مُتضامنون في الخلق والصورة الإلهيّة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الأوّل

غواية الحيّة وتشويه علاقة الإنسان بالله

المُقدِّمة

يتَمثّل إغراءُ الحيّة **بإثارة شكِّ آدم وحوّاء في علاقتهما بالله** ولا سِيّما في صِدق كلام الله لهما، وقد حوّرت كلامه تعالى في ما يتعلّق بالنهي عن الأكل، وكذلك بسبب هذا النهي. ومن هنا ستتّضح نتيجة استماعهما لكلام الحيّة عِوضًا عن كلام الله، أي تشويه صورة الله فيهما، لا سِيّما وأنّهما لم يعترفا بخطئهما ولم يتحمّلا مسؤوليّة ما اقترفاه من عِصيان الله.

أوّلًا - «كانت الحيّة أحيل جميع حيوانات الحُقول» (تك ٣/ ١)

يظهر **دهاء الحيّة** في أنّ حِوارها مع آدم وحوّاء قد انطلق من كلام الله لهما، حتّى يُصدِّقاها. غير أنّها حوّرته بدهائها إذ كذبت عليهما، ولم يتيقّظا إلى ذلك التحريف، فصدّقاها وانخدعا فِعلًا بتفسيرها كلامَ الله تفسيرًا مُضلِّلًا.

كيف فهم **آباء الكنيسة** تِلك الخِدعة؟

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إيريناوس بين آدم ويسوع

عالج إيريناوس جميع هذه القضايا من مُنطلق **يسوع المسيح** الذي «يجمع ويدمج تحت رأس واحد كُلّ شيء» (أف ١/ ١٠ - باللاتينيّة: Recapitulatio)، وذلك لأنّ الإنسان «على مِثال صورة» الابن (روم ٨/ ٢٩)، مُوازاةً بآدم الذي يُمثِّل البشريّة جمعاء (**ضِدّ الهراطقة**، ٣/ ٢١/ ١٠-٢٣). فنحن أمام شخصيّتين نُموذجيّتين لهما بالغ الأثر في مصير الإنسانيّة: آدم الأوّل في خُضوعه لغواية الحيّة، وآدم الثاني الجديد في مُقاومته تجارب الشرّير في البرّيّة (٥/ ٢١/ ٢٤).

ولقد اعتبر إيريناوس **الشيطان** «مبدأ الجُحود» (باللاتينيّة: Princeps obscessionis)، أو «مبدأ المُخالَفة» (Princeps transgressionis)، وذلك

> «بسبب غِيرته وحسده إزاء الإنسان»
> (**الحُجّة**، ١٦).

هكذا، فإنّ خطيئته، خطيئة **الكِبرياء ضِدّ الله**، هي في آن واحد خطيئة **غِيرة وحسد تُجاه الإنسان**، كما يُفسِّرها الكِتاب المُقدّس:

> «بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم»
> (حِك ٢/ ٢٤).

هكذا فسّر كاتبُ سِفرِ الحِكمة تدخُّل الحيّة إذ اعتبره غِيرة وحسدًا منها تُجاه الإنسان[١]. وقد أيّد يوحنّا في كُتبه ذلك التفسير(راجع يو ٨/ ٤٤؛ ١ يو ٣/ ٨؛ رؤ ١٢/ ٩، ٢٠/ ٢)؛ كما اعتبر بولس الموتَ موتًا روحيًّا، عاقِبتُه الموت الجسديّ (روم ٥/ ١٢ ت).

---

(١) من الجدير بالإشارة أنّ القُرآن يعتبر أنّ خطأ إبليس يكمن في أنّه رفض أن يسجد للإنسان، على خِلاف الكِتاب المُقدّس حيث إنّه رفض أن يسجد لله.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولقد فهم إيريناوس **تجربة آدم** في ضوء **تجارب يسوع الثلاث**: لقد جرّب إبليس الاثنين في ما يتعلّق بالأكل (تك ٣/ ١، ٤، ٥ // متّى ٤/ ٣)، وفي كلتا الحالتين بتحريف معنى كلام الله (تك ٣/ ٤ // متّى ٤/ ٦)، وبدعوة إلى عِصيان وصيّة الله (تك ٣/ ٥ // متّى ٤/ ٩). غير أنّ ثمّة فُروقًا بينهما: شَبَعُ آدم بفضل وفرة أشجار الفِردوس، مُقابل جوع يسوع بسبب صوم طويل؛ كِبرياء الحيّة وآدم، مُقابل تواضع يسوع الكامل؛ عِصيان آدم وصيّةَ الله، مُقابل طاعة يسوع الله: فقد ظهرت طاعة يسوع في «إفراغ ذاته» بتواضعه، مُقابل خطيئة آدم بكِبريائه، حيث يضع إيريناوس توازيًا بين نشيد فل ٢ وتك ٣ (**ضِدّ الهراطقة**، ٥/ ١٦/ ٣؛ **الحُجّة**، ٣٣).

ومُوازاةً بالمُقارنة بين آدم ويسوع، قارن إيريناوس بين **حوّاء** و**مريم العذراء**:

«كما أنّ حوّاء، بعِصيانها
أصبحت سببًا لموتها ولموت جميع الجِنس البشريّ
كذلك مريم، إذ لها العريس الذي خُصِّص لها مُسبقًا
ومع ذلك وهي بتول
أصبحت سببًا لخلاصها ولخلاص جميع الجِنس البشريّ»
(**ضِدّ الهراطقة**، ٣/ ٢٢/ ٤)[٢].

ثانيًا - «لا تأكلا من جميع أشجار الجنّة» (تك ٣/ ١)

لقد **بترت الحيّة الوصيّة الإلهيّة**، إذ قد أوصى الله:

(٢) وقد استشهد المجمع الفاتيكانيُّ الثاني بذلك المرجع: راجع **نور الأُمم**، ٨/ ٥٦.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«من جميع شجر الجنّة تأكل
وأمّا شجرة الخير والشرّ، فلا تأكل منها.
فإنّك يوم تأكل منها تموت موتًا»
(تك ٢/١٦-١٧).

لقد عاش الإنسان في انسجام مع تِلك الوصيّة الإلهيّة بقُطبيها: الأكل / عدم الأكل. ولكنّ الحيّة كذِبت عليه إذ ذكرت قُطب النهي فقط، لا قُطب السماح بوفرة الأشجار أيضًا؛ هكذا ركّزت الحيّة على الممنوع والحرام، مُتجاهلةً تمامًا المسموح والحلال، فنجحت، بحيلة منها لأنّها أحيل الحيوانات، في أن يشعر الإنسان بالحِرمان ويرغب في الممنوع، ما أدّى به إلى الأكل من الشجرة المُحرّمة، فعِصيان وصيّة الله.

ثُمّ إنّ الله لم يُحرِّم من '**معرفة**' الخير والشرّ. فالكِتاب المُقدّس يُكثر من مديح المعرفة، للتمييز بين الخير والشرّ في سبيل اختيار الخير:

«جانِب الشرّ واصنع الخير
يكن لك مسكن للأبد»
(مز ٣٧/ ٢٧).
«أُطلبوا الخير، لا الشرّ لتحيوا
فيكون الربُّ، إله القُوّات، معكم»
(عا ٥/ ١٤).

فكيف يُمكن الإنسان أن يصنع الخير ويتجنّب الشرّ بدون معرفتهما؟ إنّ **الحياة الأخلاقيّة** مبنيّة أساسًا على معرفة الخير والشرّ، فلا يُمكن بأيِّ حال من الأحوال أن يُحرّمها الله. بل إنّ الله

«ملأهم من العِلم والفِطنة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وأطلعهم على الخير والشرّ»
(سي ١٧/ ٧).

فالله هو مصدر المعرفة، في حين أنّ تجربة الحيّة تكمن في أنّ يكون **الإنسان - لا الله - مصدرها**.

ثُمّ لعبت الحيّة على وتر حسّاس، إذ جعلت **الإنسان يفقد الثّقة بالله وبكلامه**. ففيما تفترض الثّقة قبول عدم معرفة كُلّ شيء من الشخص الذي يطلب الثّقة، احترامًا لحُرمته، مُكتفيًا بما يُريد أن يُعلن عنه، لا أكثر، ألغت الحيّة ذلك من حُسبان الإنسان.

أضِف إلى ذلك أنّ **شريعة الله** في الكِتاب المُقدّس - من وصايا وأوامر ونواهٍ... - هي **مصدر حياة للإنسان**، وليست مصدر خوف من الله أو رفض منه لها، لأنّ الله - لا الإنسان - يعرف مصلحة الإنسان الحقيقيّة.

ولقد فسّر الفيلسوف المُلحد نيتْشِه تحريم الله هذا تفسيرًا مُغرضًا:

> «يُحرِّم الله المعرفة لأنّها تؤول إلى القُوّة، إلى الأُلوهيّة. قد يقبل الله منح الإنسان الخُلود في حدِّ ذاته، شرط أن يظلّ الإنسان دائم الخُلود في غبائه».
>
> (Friedrich NIETZSCHE, *Fragments posthumes*, Paris, Gallimard, 1976, p. 46).

فالإله الذي يتصوّره نيتْشِه إله غيور على سُلطته، لا يُعطي إلّا بحساب، على نقيض تمامًا الإله الحقيقيّ الذي يُعطي كُلّ شيء بلا حِساب.

وخُلاصة القول أنّ الله لم يُحرِّم قطّ 'معرفة الخير والشرّ'، بل

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حرّم الله «**الأكل**» من ثمر الشجرة. فما رمزيّة الأكل المُحرَّم؟ مَن أكل **استحوذ** وحده على ما يأكله، بدون أن يُشارك الآخرين في ما يأكل؛ فذلك الاستحواذ - لا المعرفة بحدِّ ذاتها - موضوع التحريم.

وهكذا يظلُّ الإنسان، إلى اليوم، مأخوذًا بين شُعورين مُتناقضين و**صِراع دائم بين نِهائيّته ولانِهائيّته**: فمن جِهة إنّه يرفض نِهائيّته الأُنطولوجيّة، رافضًا سُلطة غيره؛ ومن جِهة أُخرى يرغب في معرفة الخير والشرِّ رغبة لانِهائيّة. لم يتيقّظ آدم وحوّاء إلى أنّ طاعة الله ليست بمثابة تخلٍّ عن حُرِّيّتهما، بل هي اعتراف بأنّهما مخلوقان وبالتالي نِهائيّان. أضف إلى ذلك ما تعلّمناه من إيريناوس، أنّ الإنسان أراد الإسراع في النُّموِّ والنُّضوج، غير مُعترف بأنّه كائن مُتزمّن خاضع للزمن وللتطوُّر، لا صاحب الكمال.

ثالثًا - «ستصيران مِثل آلهة» (تك ٣/ ٥)

وما ثبّت الإنسان في العِصيان تفسيرُ الحيّة - الكذّابة، هُنا أيضًا - لوصيّة الله، وهو أنّ الله يحتفظ لنفسه فقط بالأُلوهيّة ويرفضها للإنسان:

«الله عالم أنّكما في يوم تأكلان منه
تنفتح أعينكما
وتصيران مِثل آلهة تعرفان الخير والشرّ».

الإنسان الإله

لقد مسّت الحيّة وترًا حسّاسًا، وهو أن **يصير الإنسان إلهًا** لأنّه على صورة الله. غير أنّها أرادت أن يتعجّل الإنسان في ذلك،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فيرى، لا بِنور الله، بل بِنوره هو إذ يُصبح «مِثل» الله. فكذبت مرّة أُخرى[٣]، لأنّها أبرزت أنّ الإنسان، عِندما يأكل من الشجرة، يُصبح **«مِثل» الله**، أي مُنافسًا لله، مُغتصبًا صِفة الأُلوهيّة، في حين أنّه، بموجب الخلق، على **«مِثال» الله**، أي مُشتركًا في صورة الله بهِبة مجّانيّة منه تعالى. وقد تصرّف يسوع على نقيض ذلك تمامًا ليُناهض ذلك الميل البشريّ الذي وقع في فخِّه، هو الذي

«لم يُعِدّ مُساواته لله غنيمة [أو اغتصابًا]
بل أفرغ ذاته...»
(فِل ٢/٦).

إنّ الأدب البشريّ، في جميع حضاراته، يُبيِّن **نزعة الإنسان إلى تأليه ذاته**، مُنافسًا الله، عِوضًا عن أن يتقبّله من الله. فالأساطير اليونانيّة خصّصت **أُسطورة بروميتيوُس** (Prométhée) الذي اغتصب النار من الآلهة فنافسهم وغاروا منه (وأمّا الحيّة فركّزت على اغتصاب كِلتا معرفة الخير والشرّ، والأُلوهيّة)، فأصبح رمزًا للقُوّة والتقدُّم والإنجازات البشريّة... بدون مرجعيّة الله، بل ضِدّ الله. وإلى اليوم، تظلّ هذه النزعة في قلب الإنسان المُعاصر. وإنّ الخطيئة المُعاصرة تكمن في تمام معنى الإلحاد، أي نُكران وُجود الله، أو تمثيله بالعِجل الذهبيّ، بل الاستعاضة عنه بآلهة غيره كالمال والجِنس والسُّلطة...

أمّا إله الوحي، فإنّه **لا يُعاقب بالموت** مَن خالف أمره وعصى وصيّته، مِثلما أوحت به الحيّة، بل **يعِد بالخلاص**، كما سنراه.

---

(٣) لذا صرّح يسوع أنّ الشيطان «كذّاب وأبو الكذب» (يو ٨/ ٤٤)، وقال بولس إنّه «يتزيّا بِزيّ ملاك النور» (٢ قور ١١/ ١٤).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

انفتاح العُيون

وإنّ **انفتاح العُيون** من الرُّموز الكِتابيّة الغنيّة. فبعد أن أكل آدم وحوّاء من ثمر شجرة معرفة الخير والشرّ، «انفتحت أعينهما»، فلم يجدا صُبح الله ونوره، بل المساء الذي يأتي ويغمر المسكونة؛ كما أنّهما، في الوقت نفسه، قد «عرفا أنّهما عُريانان» (تك ٣/ ٧)، أي، كما يقول التقليد اليهوديّ، «عُريانان من الله»، فـ«خافا» منه و«اختبآ» عِندما «تمشّى في الجنّة عِند نسيم النهار»، وذلك بسبب عُريهما (تك ٣/ ٨-١٠)، في حين أنّ تمشية الله كانت قبلئذ علامة الصداقة والوُدّ بينه وبين الإنسان. إنّ «**الخوف**» من الله، لَشُعور دفين في أعماق الإنسان، بعد خطيئته، ما جعله يعتبر الله حاكمًا ظالمًا يهابه، ومن ثمّ يعتبر نفسه كائنًا يخاف منه، بل يخاف من نفسه إذ تتصارع في داخله رغبات مُختلفة مُتناقضة.

العودة إلى تِلميذي عمّاوس

وإذا اعتمدنا على اختبار **تِلميذي عمّاوس** (لو ٢٤)، وجدنا مثلًا آخر جديرًا بالمُقارنة والفهم: كانا يعيشان في ظلام خيبة أملهما بسبب موت يسوع الناصريّ، ما جعلهما لم يعرفاه عِندما تراءى لهما على طريقهما. ولكنّهما، بعد أن استمعا لحديثه وشرحِه مصيرَه في الكِتاب المُقدَّس، وإذ بارك هو الخبز، «انفتحت أعينهما وعرفاه»: إنّما هو صُبح القِيامة، بعد مساء موته ويأسهِما. إنّ التناقض مع اختبار آدم وحوّاء لصارخ: عرفا أنّهما عُريانان، بيْد أنّ تِلميذي عمّاوس عرفا يسوع القائم. ومِمّا يسترعي الانتباه أنّ لوقا لم يذكر إلّا اسم أحدهما، وهو كلاوبا؛ فمَن كان رفيقه؟ ألم تكن زوجته، حيث إنّ التقاليد اليهوديّة لا تذكر عادةً اسم المرأة؟ إن كان الأمر

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هكذا[٤]، فالمُقارنة بين الزوجين الأوّلين في العهد القديم اللذين أكلا من الثمر الممنوع، والزوجين الأوّلين في العهد الجديد بعد قِيامة يسوع اللذين أكلا من خُبز الحياة، تحمل في طيّاتها عُمقًا عظيمًا، وهو عُمق الخلاص الجماعيّ والخلاص الشخصيّ.

وعليه، فإنّ خطيئة الإنسان هي خطيئة نفاد الصبر وفُروغه، **فانحرف الزمن**: لم يعُد الإنسان ينتظر من الله ويتقبّل منه العطايا، بل يغتنمها ويختلسها ويغتصبها من تِلقاء نفسه، حتّى أصبحت الشجرة موضعًا للأخذ والتمتُّع. وإذا استعنّا برمزيّة الزمن الإلهيّ كما ظهر لنا في رِواية الخلق الثانية، أي 'من المساء إلى الصُّبح'، اتّضح لنا أنّ خطيئة الإنسان تمثُل في أنّها حرّفت الزمن فأصبح من الصباح إلى المساء، في حين أنّ قصد الله كان أن يتقبّل الإنسان منه تعالى الصُّبح، هِبةً مجّانيّة منه. هكذا أصبح الزمن يؤدّي إلى الموت والعدم:

«أخرجه الربُّ الإله من جنّة عدن
ليحرث الأرض التي أُخذ منها
فطرد الإنسان».

وذلك حتّى

«لا يمُدَّنَّ يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضًا
ويأكل منها فيحيا للأبد»
(تك ٣/ ٢٢-٢٤).

---

(٤) وما قد يوحي بذلك، ذِكر أسماء النِّساء عِند صليب يسوع: «. . . أُخت أُمّه مريم **امرأة قَلوبا**. . .» (يو ١٩/ ٢٥).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هكذا حرّم الإنسان نفسه من الله ومن الحياة، إذ لم يحترم التدرُّج في معرفة الخير والشرّ[٥].

الخُلاصة

في نِهاية المطاف، حاولت الحيّة، بدَهاء حِيَلها وكذب أقوالها وخُبث نواياها وإخفاء مقاصدها، أن **توقظ في الإنسان كُلّ نزعاته الدفينة** - من قُوّة وسُلطة ومُنافسة، ومن غيرة وحسد واشتهاء... -. ولقد نجحت في مساعيها، إذ وقع في حِبالها، وقد دخل في حِوار معها، عِوضًا عن اختصار الكلام معها[٦].

رابعًا - تشويه صورة الله

في ضوء ما سبق، نُحاول أن نستشفّ **نتيجة الخطيئة** في علاقة الإنسان بالله، فنقوم بجولة سريعة في الكِتاب المُقدّس وفي تحاليل بعض الآباء.

الكِتاب المُقدّس

في العهد القديم، هُناك قِصّة **بُرج بابل** (تك ١١/ ١-٩)، وهي تُعيد قِصّة آدم وحوّاء، حيث اعتماد الإنسان على قُوّته بدون الله، وهي خطيئة الكِبرياء. وهُناك أيضًا قِصّة **العِجل الذهبيّ** (خُر ٣٢)

---

(٥) راجع تحليل إيريناوس (في المُجلّد الأوّل) بشأن ضرورة تدرُّج الإنسان في نُموّه ومعرفته، غير أنّ صبره قد نفد وتسرّع.

(٦) يقرأ عُلماء النفس التحليليّين **مشهد الإنسان مع الحيّة** على أنّها تُمثّل رغباته الدفينة الواعية وغير الواعية؛ وأمّا 'تجاربها'، فما هي سِوى مُقاومة الإنسان مع نزواته وغرائزه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حيث صنع الإنسان إلهه الشخصيّ، عوض أن يعبد الله الذي خلقه، وقد تُفهَم تِلك الخطيئة على أنّها نرجسيّة، إذ إنّه يعبد صُنع يديه؛ فضلًا عن أنّه حقّر من شأنه، لأنّه هو - ولا الحيوان - صورة الله.

وفي العهد الجديد، ثمّة مَثل **الابن الضال** الذي ضربه يسوع (لو ١٥/ ١١-٢٤)، وقد طالب أباه بميراثه - «أعطِني» -، عِوضًا عن تقبُّله كُلّ شيء منه، ثمّ ترك الحياة مع أبيه وانفصل عنه، وفضّل امتلاك المال والعِشرة السيِّئة، واستخدم وقته استخدامًا سيِّئًا، مُتّجهًا من الصباح إلى المساء. وهُناك أيضًا مَثل **الابن البِكر** (لو ١٥/ ٢٥-٣٢) الذي تجاهل نعيم الحياة مع أبيه، وهي باكورة الحياة الأبديّة؛ وبينما طالب أخوه أباه بقوله: «أعطِني»، عاتب هو أباه بقوله: «لم تُعطِني»، وكلاهما يُنافيان مجّانيّة منطقِ العطاء من الله وتقبُّلِه من الإنسان.

التقليد الشرقيُّ والصورة المُشوَّهة

ولقد أجمع التقليد الشرقيُّ على أنّ خطيئة الإنسان **شوّهت الصورة الإلهيّة**. ولخّص اللاهوتيُّ الروحيُّ بول إفْدُكِموف نظرة الشرق على النحو الآتي:

> «إنّ الحُبّ الكامن في القلب البشريّ، وهو مُتّجه مُنذ البدء نحو كيان الله(٧)، قد وجد نفسه غير مُركَّز على موضوعه، مُنحرفًا، مُتّجهًا نحو صِفاته تعالى فقط(٨)، بقدر ما هي مصدر تنعُّمه.

---

(٧) نذكر كلام غريغوريوس النيصيّ: الإنسان «تمطٌّ» نحو الله (Epectasis). وأمّا أوغسطينس، فوصفه بلفظ Tendere، أي «اتّجه» نحو الله.

(٨) إنّ المقصود بذلك القول صِفةُ الأُلوهيّة التي اشتهاها الإنسان، عِوضًا عن الرغبة في الله نفسه وفي العلاقة المجّانيّة به.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إنّ نِعمة 'الشَّبَه' يحلُّ محلّها سِحرُ المُساواة: 'ستكونان مِثل الآلهة'... هكذا فإنّ الشرّ يُصبح باطنيًّا له؛ وعلى نقيض ذلك، يُصبح الله خارجًا عن الإنسان[٩]. إنّ النِّظام قد انحرف: إنّ المُستوى البِيولوجيّ الحيوانيّ يظهر غريبًا عن طبيعة الإنسان الحقيقيّة، وقد اضطلع الإنسان بالمُستوى الحيوانيِّ قبل الروحيّ، وذلك قبل أن يُسيطر الروحيُّ على المادِّيّ[١٠]. إنّ الاتِّحاد بالطبيعة، وهي خير في حدِّ ذاتها، اتّضح أنّها شرٌّ لأنّه كان سابقًا لأوانه. وقد رأى أكليمنْدس الإسكندريُّ الخطيئة الأصليّة في كون 'أجدادنا قد تعاطا الإنجابَ قبل أوانه'. [...].

إنّ الحُكم الأخلاقيّ وروح التمييز هُما اللذان مُسّا[١١] (**مراحل الحياة الروحيّة**).

غير أنّ **اقتناع الآباء** هو أنّ الصورة الإلهيّة قد مُسّت فشُوِّهت فقط، ولم تزُل قطّ:

«إنّ الزلّة تكبتُ كبتًا عميقًا **الصورة** الإلهيّة
ولكن من دون أن تُفسدها.
إنّ التشابه، أي القُدرة على **المِثال**، هو الذي قد مُسّ»
(بول إفْدُكِموف، **الأُرثوذكسيّة**، ٨٩).

---

(٩) كما أنّ الصورة والشبه هما باطنيّان، هكذا أمْرُ الشرِّ الذي يُنكرهما ويحلُّ محلَّ الله نفسه الذي يُصبح خارجًا.

(١٠) إنّ المُستوى البِيولوجيّ يشمل ارتباط الإنسان بالطبيعة عن طريق جسده، بما يتضمّنه الجسد من جِنس.

(١١) إنّ المقصود بـ«الحُكم الأخلاقيّ» القُدرة على «التمييز» بين الخير والشر، وهي خاصّة بالله، وقد اغتصبها الإنسانُ بأكله من ثمر تِلك الشجرة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أوغسطينس وخطيئة الكِبرياء

أطلق أوغسطينس **تسميتين** تُظهر كُلٌّ منهما وجهًا من وُجوه «الخطيئة في الأصل» (أي «الخطيئة الأصليّة»): '**خطيئة الكِبرياء**'، حيث التشبُّه بالله تشبُّهًا مُنحرفًا، ويختصُّ ذلك بعلاقة الإنسان بالله؛ و'**خطيئة البُخل الروحيّ**'، حيث الجُزء يحلُّ محلّ الشامل، ويختصُّ ذلك بعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان. وسنتناول الكبرياء الآن بتشويه صورة الله، وسنترك لحينه الكلام على العلاقة الأخويّة.

١ - الخطيئة وتشويه صورة الله

إنّ خطيئة الكِبرياء هي «**في الأصل**» (باللاتينيّة: originans)، وهي تتعلّق **بتشويه صورة الله في الإنسان**. وانطلق أوغسطينس لشرحها من كلمة سِفر يشوع بن سيراخ:

«**إنّ أوّل كِبرياء الإنسان ارتدادُه عن الربّ**
حين يبتعد قلبُه عن الذي صنعه.
إنّ أوّل الكِبرياء هو الخطيئة
ومَن تمسَّك بها فاض قبائح»
(سي ١٠/ ١٢-١٣).

بناء على ذلك، اعتمدت حُجّة أوغسطينس على كون **الإنسان صورة الله**: أي مُتواضعًا بمعنى أنّه يعتبر أنّ كُلّ شيء يأتي من الله؛ ومُحبًّا، بمعنى أنّه يعترف بحُبِّ الله. وأمّا خطيئة الكِبرياء، فهي أنّ النفس:

«إذ ترفض أن تُصبح اللهَ **بالله**
وإذ تُريد أن تكون اللهَ **بذاتها**

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فإنّها تُحيد عن الله.

[...]

وهي لم تعُد تكتفي بذاتها، ولا شيء يكفيها
إذ ابتعدت عن الذي وحدَه يكفيها»
(في الثالوث، ١٠/ ٥/ ٧).

هكذا فإنّ الإنسان يُخضع اللهَ لذاته، عِوضًا عن خُضوعه لله؛ مُعتبرًا ذاته المُطلق، عِوضًا عن الله. إنّ ذلك الانحراف تحديدًا ما أوحت به الحيّة إلى حوّاء بقولها: «ستصيران مِثل آلهة»، صيرورةً منبعُها الإنسان، لا الله **(مدينة الله، ١٤/ ١٣/ ١ و٢)**. وبقصير العِبارة، إنّ الكِبرياء هي

«التشبُّه بالله تشبُّهًا مُنحرفًا»
(في التكوين، ٨/ ١٤/ ٣١)

يُفسد

«التشبُّه بالله بالله»
(في الثالوث، ١٠/ ٥/ ٧).

ولذا، فإنّ **الخطيئة قاتلة**، لأنّها لا تُريد أن يكون الله، وتُسبِّب موتَ الإنسان نفسه بعيدًا عن الله، منبع حياته. كما أنّ الخطيئة **كاذبة** كذِبًا أُنطولوجيًّا، لأنّها تعرض على الإنسان أن يكون الله، في حين أنّه ليس الله، بل 'على صورته'، مُعاديًا الله،

«مُتّجهًا اتّجاهًا مُنحرفًا عن الله» (Aversio a Deo)،

بحسب تعبير أوغسطينس، مُستعيضًا عن الله بأنّه

«مُمَحور على ذاته» (Incurvatus in se)،

بحسب عِبارة لوثر، أي مُنغلق على ذاته عوضًا عن الانفتاح على

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الله، أو، بعِبارة حديثة، قاصدًا:

«التألُّه الذاتيّ» (بالفرنسيّة: Autodivinisation)،

بحسب اللاهوتيِّ النفسانيِّ أنطوان فِرْغوت، وذلك بطريقة مُزيّفة، ومن ثمّ

«الوُقوع في [الحياة] الخارجيّة (Extériorité)»
(في الثالوث، ١٠/٥/٧).

المُزيّفة هي أيضًا. إنّ التألُّه الحقيقيّ يتحقّق بنِعمة الله، ولا بمُنافسته، ولا بقُوّة الذات. ويشرح أوغسطينس منطق هذا الانحراف بقوله:

«تكمن كرامة الإنسان الحقيقيّة في كونه صورة الله ومِثاله.
ولا تظلُّ تِلك الصورة إلّا
بقدر ما تتوجّه نحو الذي هي مطبوعة به.
[...]
غير أنّ الرغبة في أن تختبر قُدرتها الشخصيّة
توقع الإنسان، إلى حدٍّ ما بمحض إرادته
على ذاته كأن على درجة وُسطى.
هكذا، فعِندما يدّعي أن يكون مِثل الله
يكمن عِقابه في أنّه يقع من هذا الوسط الذي يُميِّزه
إلى ما هو أسفل، وهو ما يُسعد الوحش»
(في الثالوث، ١٢/١١/١٦).

٢ - إمكانيّة الخطيئة

إنّ ذلك الانحراف جائز بموجب حُرِّيّة الإنسان اللامُتناهية التي بمقدورها أن تتّجه إلى غير الله. ويُميِّز أوغسطينس بين **الحُرِّيّة**

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأُنطولوجيّة، كما أرادها وخلقها الله، وهي مُتّجِهة نحو الله (Tendere)، و**حُرِّيّة الاختيار** التي تختار الخير أو الشرّ، أي 'التألُّه بالله' أو 'التألُّه بالذات'[١٢].

وعِندما يتساءل أوغسطينس عن **إمكانيّة الإنسان أن يخطأ**، فإنّه يُقرِّر أنّها تعتمد على كونه **كائنًا مُتناهيًا**، مع احتمال «القُدرة على عدم الخطيئة» (باللاتينيّة: posse non peccare) أو«القُدرة على الخطيئة» (posse peccare). ولأوغسطينس نظرة إيجابيّة إلى نِهائيّة الإنسان، إذ إنّها تدفعه أُنطولوجيًّا إلى الله، ومن ثمّ إلى الآخرين، في عمليّة حُبٍّ مُتبادل بين الله والإنسان، وكذلك بين الإنسان وأخيه الإنسان؛ وعليه، فليست النِّهائيّة في حدِّ ذاتها نقصًا وحِرمانًا، بل هي دافع إلى الانفتاح على الآخر. ولكن قد يعيشها الإنسان حَدًّا لحُرِّيّته، عِندما يُريد، من جرّاء حُرِّيّته اللامُتناهية المُتّجهة نحو المُطلق، أن يتمحور على ذاته مُعتبرًا إيّاها المُطلق، لا على الله المُطلقِ الحقيقيِّ الوحيد؛ تُصبح هكذا الإرادة الصالحة إرادة شِرّيرة (**في مدينة الله**، ١٢/ ٦ و٨؛ **في حُرِّيّة الاختيار** ٣/ ١/ ٢)[١٣].

٣ - بين الخطيئة واشتهاء الخليقة

إنّ خطيئة الكِبرياء هي فِعلًا تعبير عن **بحث الإنسان عن المُطلق**: في الأساس البحث عن الله، لأنّ الإنسان على صورة الله

---

(١٢) راجع ما قُلناه، بشأن أوغسطينس، في المُلحق الثاني من المُجلَّد الأوّل: **خواطر شخصيّة في سِرِّ النِّعمة الإلهيّة والحُرِّيّة البشريّة**.

(١٣) تعود إمكانيّة الخطيئة، بحسب نظرة بول ريكور التي نتبنّاها شخصيًّا، إلى أنّ الإنسان **مزيج من النِّهائيّة واللانِهائيّة**، لا إلى أنّه نِهائيٌّ فقط، أو إلى أنّ له جسدًا. فهُما إذًا نظرتان مُختلفتان، وهُناك غيرهما من النظرات.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فمتّجه نحوه. ولكنّه، بسبب الخطيئة، يبحث عن بدائل وأُمور مزيّفة. فاشتهاء الخليقة عوضًا عن الخالق، بحثًا من **إرادته المُنحرفة الشرّيرة** عن المُطلق فيها، ولكنّه يفشل بالفِعل في تحقيق ما يشتهيه:

«إنّ النفس تنحدر نحو الأقلّ الذي تعتبره الأكثر
لا لأنّها لم تعُد تكتفي بذاتها فحسب
بل لأنّ ما من شيء يكفيها
مُنذ أن انفصلت عن ذاك الذي وحدَه يكفيها»
(**في الثالوث**، ١٠/ ٥/ ٧).

كيف يُمكننا فهم ما يحدث؟ بقصير العِبارة، إنّ **الإرادة انحرفت فاستُعبِدت**: إنّها أصلًا خاضعة لله خُضوعًا حُرًّا، وللذات الصالحة، إذ إنّها قُدرة روحيّة، ما يجعلها «تستعمل» (باللاتينيّة: uti) الأُمور والمُيول الحِسِّيّة استعمالًا مُتناغمًا، في حين أنّها أصلًا «تتنعّم» (frui) بالله وحده، وهو راحتها الوحيد. وها إنّها تُصبح خاضعة ومُستعبَدة لِتلك الأُمور والمُيول، مُعتبرةً إيّاها مُطلقة. هكذا فإنّ الإرادة تفقد استقلاليّتها، وتُصبح مركزيّةُ ذاتها في 'الخارج' الذي يُسيطر عليها، عِوضًا عن 'الباطن'؛ وإذ هي تمتلك، فإنّها تُستعبَد؛ ويُصبح موضوعُ رغبتها فاعلَ الإرادة ومُتحكِّمًا فيها، لا خاضعًا لها (**في حُرِّيّة الاختيار**، ٣/ ٣/ ٨). وبعِبارة أُخرى، إنّ الجُزء يصبو إلى أن يُصبح مركزًا شاملًا وكُلِّيًّا (**في الثالوث**، ١٢/ ٩/ ١٤). إنّه 'اللامُتناهي الخاطئ' (بالفِرنسيّة: le mauvais infini)، بحسب التعبير الفلسفيّ، ما يُفضي إلى الفشل الذريع، غير أنّه مخفيٌّ بوَهم امتلاك الأشياء.

لا يعني ذلك إطلاقًا أنّ **الخليقة** شرّ، وكذلك ليست مزيجًا من الخير / الشرّ، كما وصفتها الفلسفة المانويّة (Manichéisme)، لأنّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الله - ولا إلَهين - قد خلقها كُلّها صالحة، وكلّف الإنسانَ بالتسلُّط عليها واستخدامها كما قصدها الله، وهي طريقُه لبُلوغه تعالى. ولكنّ الشرَّ يكمن في أنّ الإنسان يعتبر مُطلقًا ما هو نِسبيّ، وهدفًا ما هو وسيلة، وإلهيًّا ما هو مخلوق (**في الثالوث**، ١٢/ ١٠/ ١٣). إنّها عِبادة الأوثان، من الرغبة في الغِنى والكرامة واللذّة...، ولكنّ الإنسان لا يعي هذا الانحراف.

وإذ يُخلِّص الله الإنسان، فإنّ **الاهتداء** يتّصف بأنّه «جُرأة التواضع»، و «نور الأمان». وفي مسيرة الاهتداء، لم يعُد التعارض بين «**ما يُمكن**» (posse) **العمل به بالوِلادة الجديدة** / «**ما لا يُمكن**» (non posse) **بحسب الإنسان القديم**، بل بين «ما يُمكن بالربّ» (in Domino posse) / «ما يُمكن بالذات» (in se posse) المُتكبِّرة، لأنّ الاهتداء هِبة ونِعمة من الله، لا اغتصاب من الإنسان.

الخُلاصة

يرمز اتِّجاه **تِلميذي عمّاوس** إلى تِلك الخطيئة ضِدّ الله، عِندما تركا جماعة يسوع الساكنة شرقًا في أورشليم، واتّجها نحو البحر، وهو رمز الظلام والهاوية وقِوى الشرّ، رمزًا لليأس. إلا أنّ ذلك الغريب الذي التقاهما في صميم وضعهما اليائس البائس، مشى معهما ورافقهما في الاتِّجاه الخاطئ، وقد سبق أن نزل من السماء وتجسّد بين البشر ليمشي معهم على دُروب الخطيئة، حتّى يُخلِّصهم منها.

إذا حاولنا أن نُعبِّر فلسفيًّا ولاهوتيًّا عن نتيجة الخطيئة في الإنسان، قُلنا - بحسب تحليل بول ريكور - إنّ الإنسان **أُنطولوجيًّا على صورة الله كمِثاله**: هكذا قصده وخلقه الله. غير أنّه أصبح

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وُجوديًّا مزيجًا من الصورة الأصليّة (أي من الخير) التي لم تُمحَ، **ومن الصورة المُشوّهة** (أي من الشرّ) بموجب الخطيئة. فحقيقة الإنسان لا تقتصر على الصعيد الأُنطولوجيّ، ولا على الصعيد الوُجوديّ، بل تجمع الصعيدين في وحدة لا تقبل الانفصال.

خامسًا - عدم الاعتراف بالخطإ وعدم تحمُّل مسؤوليّته (تك ٣/ ٨-١٣)

ما يسترعي الانتباه أنّ آدم أنكر مسؤوليّته في الزلّة واتّهم حوّاء، وحوّاء أيضًا أنكرتها واتّهمت الحيّة. إنّهما حرّفا هكذا معنى **الحُرِّيّة التي هي مسؤوليّة**. وما من اهتداء وتوبة إلّا بالإقرار بالخطأ، ما لم يفعلاه.

ولم ينسَ العهد القديم ذلك الأمر الذي ظلّ حيًّا في ذِاكرة الشعب المُختار، فذكر تحميل **جيل آخر** أو فئة أُخرى المسؤوليّةَ:

«لا تقُل:
'لِمَ اتّفق أن كانت الأيّام الأُولى خيرًا من هذه؟'
فإنّه ليس عن حِكمة سؤالك هذا»
(جِك ٧/ ١٠).

وأمّا السؤال الحقيقيُّ فهو واقع شرِّ الإنسان في جميع الأجيال:

«رأى الربُّ أنّ شرّ الإنسان قد كثُر على وجه الأرض
وأنّ كُلّ ما يتصوّره قلبه مِن أفكار
إنّما هو شرٌّ طوال يومه.
فندم الربُّ على أنّه صنع الإنسان على الأرض
وتأسّف في قلبه»
(تك ٦/ ٥-٦).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ومن وحي كلام أوغسطينس، ينبغي **الاعتراف بالله** الخالق والمُخلِّص أوّلًا، **للاعتراف بالخطيئة** ثانيًا؛ وبعِبارة أُخرى، إنّ الحركة هي **مِن فوق** - أي من القصد الإلهيّ - **إلى تحت** - أي إلى الواقع البشريّ -، فهي **تنازليّة**، لا تصاعديّة، لا سِيّما وأنّ قضيّة الخطيئة تُطرح طرحًا سليمًا بقدر ما يُنظَر إليها من نظرة الله وهو يُسامحها ويغفرها ويُحرِّر منها، في حين أنّ النظر إليها من نظرة الإنسان نفسه يزيد من تورُّطه فيها واستعباد لها.

الخاتمة

نورد باقة من أقوال الآباء في شأن **طبيعة الشرِّ والخطيئة وأصلهما وعواقبهما**:

«إنّ الخطيئة عدم»
(أوغسطينس).

«ما هو شرٌّ بالمعنى الحصريِّ
ليس جوهرًا، بل غِياب الخير
كما أنّ الظلام هو لا شيء سِوى غِياب النور»
(إيفاغريوس البُنْطيّ).

«الخطيئة غير موجودة في الطبيعة
بمعزل عن الإرادة الحُرّة.
ليست هي جوهرًا»
(غريغوريوس النيصيّ).

«ليس للشرِّ من كينونة»
(غريغوريوس النيصيّ، **الآباء اليونانيّون**، المُجلّد ٤٤، العمود ٥٢٨ أ).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«إنّ طبيعة الخير أقوى من عادة الشرّ
لأنّ الخير موجود، بيْد أنّ الشرّ غير موجود
أو بالأحرى هو موجود في اللحظة التي يُصنع فيها فقط»
(دِيادوكُس الفوتيكيّ، **مائة فصل في الكمال الروحيّ**).

«لم أر خطيئة لأنّي أومن
بأن ليس لها أيُّ نوع من الجوهر، ولا شركة مع الكينونة
ولا يُمكنها أن تُميِّز إلّا بفضل الألم التي تُسبِّبه»
(يوليانُس النُّرويجيّ).

«البشر، إذا خطئوا، فإنّهم غير موجودين»
(توما الأكويني، **الخُلاصة اللاهوتيّة**، ٤/١/٢٠).

«الشرُّ هو العدم.
وعمّا قريب يغيب [أهلُ الشرِّ]
في عدم الوُجود، في العدم»
(فيرجيل جورْجِيو، **من الساعة الخامسة والعِشرين إلى الأبديّة**، ص ٤٩)[١٤].

وقد اعتبر غريغوريوس النيصيّ الشرّ نِهائيًّا، شأنه شأن كُلِّ ما هو مخلوق.

وأمّا **مصدر الشرِّ** والخطيئة فهو:

«**الشياطين** [...] بسبب إساءة استعمال قِواهم الطبيعيّة»
(مكسيمُس المُعترف).

وقد دخل بعضُ الملائكة في عداء مع الله بعدم طاعته، وقد خلق الله خليقته جمعاء خيرًا. أضف إلى ذلك، **اشتراك الإنسان**:

---

(١٤) يذكر الرِّوائيُّ الروحيُّ فيرجيل جورجيو أنّ لفظ 'الوُجود' عند الهُندوس مُرادف للفظ 'الخير'، وأمّا 'عدمِ الوُجود' فلـ'الشرّ'.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«إنّ أصل الخطيئة وجِذرها
يكمنان في حُرِّيّتنا وإرادتنا»
(باسيليوس).

«لا وُجود للشرِّ بحدِّ ذاته، بل يتأتّى من النفس»
(باسيليوس).

ونتيجة كُلِّ ذلك أنّ صورة الله في الإنسان قد تشوّهت، إذ

«أغلق الإنسان على نفسه جداول النِّعمة الإلهيّة»
(فيلاريتْ الموسْكوفيّ، **خُطب وعِظات** ١/ ٥).

وتظهر نتيجة **تشويه صورة الله** وقطع العلاقة به على ثلاثة أصعدة مُتكاملة: **العلاقة بالذات وبين البشر**، لا سِيّما الرجل والمرأة، والإنسان وأخيه الإنسان (وهذا موضوع الفصل الثاني)؛ و**العلاقة بالخليقة**، لا سِيّما بالحياة وبالموت (وهذا موضوع الفصل الثالث)؛ و**وِراثة الخطيئة** (وهذا موضوع الفصل الرابع).

وأمّا **الخلاص الموعود** فهو حُرِّيّة الابن المُتجسِّد في طاعته الآب (وهذا موضوع الفصل الخامس)، وإرسال الروح القُدس لإتمام عمله (وهذا موضوع الفصل السادس). وإذ خطئ الإنسان بسبب نفاد صبره، خلّصه الله بصبره في تاريخ خلاصه الطويل، وبِطول أناته. وإنّ مَثل «الخروف الضالّ» يُجيب عن سؤال الله لآدم عِندما خطئ: «أين أنت؟»، ذلك بأنّ الله نفسه يبحث عن الإنسان الخاطئ، وهو خاطئ، كما علّمه بولس.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الثاني

تشويه العلاقة بالذات وبين البشر

المُقدِّمة

إنّ نتيجة خطيئة الإنسان هي الانفصال، فمن المعروف أنّ اسم الشيطان باللُّغة اليونانيّة هو Diabolos، أي الذي يقسم ويفصل ويُفرِّق. وذلك على ثلاثة مُستويات مُختلفة: داخل الشخص نفسه، وبين الرجل والمرأة، وبين الإنسان وأخيه الإنسان.

أوّلًا - حُبُّ الذات

إنّ **حُبّ النفس** (باليونانيّة: Philautia) هو **التعلُّق بالذات**، وبالأخصِّ التعلُّق بالجسد تعلُّقًا

«مُنحرفًا، غير مُتعقِّل»
(مكسيمُس المُعترف)

إذ يؤدّي بالإنسان إلى عِبادته. ويظهر ذلك التعلُّق في الانقسام على الذات، ولا سِيّما بين الروح والجسد، وعدم الاعتراف بالخطأ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الاختلال البشريُّ الداخليّ

لقد عبّر بولس عن **نتيجة الخطيئة الساكنة والعاملة فيه**، بوصفه المشهور وصرخته النافذة:

«إنّي بشر بيع ليكون للخطيئة.
وحقًّا لا أدري ما أفعل:
فالذي أُريده لا أفعله، وأمّا الذي أكرهه فإيّاه أفعل.
فإذا كُنتُ أفعل ما لا أُريد،
إنّي أُوافق الشريعة على أنّها حسنة.
فلستُ أنا الذي يفعل ذلك، بل الخطيئة الساكنة فيّ.
لأنّي أعلم أنّ الصلاح لا يسكن فيّ، أي في جسدي.
فالرغبة في الخير هي باستطاعتي، وأمّا فعلُه فلا.
لأنّ الخير الذي أُريده لا أفعله
والشرَّ الذي لا أُريده إيّاه أفعل.
فإذا كُنتُ أفعل ما لا أُريد
فلستُ أنا أفعل ذلك، بل الخطيئة الساكنة فيّ.
فأنا الذي يُريد فِعل الخير أجد هذه الشريعة
وهي أنّ الشرّ باستطاعتي
وإنّي أطِيبُ نفسًا بشريعة الله
من حيث إنّي إنسان باطن
ولكنّي أشعر في أعضائي بشريعة أُخرى
تُحارب شريعة عقلي
وتجعلني أسيرًا لشريعة الخطيئة
تِلك الخطيئة التي في أعضائي.
ما أشقاني من إنسان
فمَن يُنقذني من هذا الجسد الذي مصيره الموت؟»
(روم ٧/ ١٥-٢٤).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هكذا، فإنّ الجسد أصبح أداة للشهوة، تِلك الشهوة التي تمثّلت بأكل ثمرة شجرة معرفة الخير والشرّ (ما يُعبِّر عنه بولس تحديدًا في صراعه بين الخير والشرّ)، فضعفت الإرادة، واختلّ التوازن بين الجسد والنفس والروح، ولم يعُد روح الإنسان هو الذي يتحكّم في الشخص. وفيما قصد الله

«جسدًا مجيدًا»
(فِل ٣/ ٢١)،

على صورة جسد المسيح، يسكنه الروح القُدس فيُصبح الجسد

«هيكل الروح القُدس»

بل

«يُمجِّد البشرُ الله بأجسادهم»
(١ قور ٦/ ١٩-٢٠)،

أصبح الجسد

«جسد الخطيئة»
(روم ٦/ ٦)،

«جسدًا مصيرُه الموت»
(روم ٧/ ٢٤)[١].

---

(١) لقد ألّف اللاهوتيُّ الروحانيُّ الأُورثوذكسيُّ المُعاصر أوليفييه كليمان كِتابًا بعُنوان **جسد الموت والمجد** (Olivier CLEMENT, *Corps de mort et de gloire*, Paris, 1995). والمجد هذا هو - بحسب التقليد الشرقيّ - ثمر الروح القُدس؛ ويظلُّ المشهد الإنجيليُّ الرائد هو **تجلّي يسوع المسيح** على الجبل، وقد جعل الروحُ القُدس التلاميذَ يُشاهدونه ويختبرونه مُمجَّدًا قبل قِيامته.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بين الخطيئة والحياة الباطنيّة

وعليه، فالإنسان يفقد **'باطنيّته'** الحقيقيّة[٢]، لأنّ الله هو في عُمق أعماقه، وها إنّه انفصل عنه، فانفصل عن ذاته. فإنّ التناغم والانسجام الأُنطولوجيّين قد انكسرا فأصبحت علاقة الإنسان بذاته خارجيّة لا داخليّة، مُنقسمة لا مُوحَّدة:

«إذا لا أُقيم فيكَ، لا يُمكنني أن أُقيم في ذاتي»
(الاعترافات، ٧/ ١١/ ١٧).

ويضرب أوغسطينس **مَثل الابن الضالّ** الذي انفصل عن أبيه ليكون ذاته، ما أدّى به إلى اختبار العُبوديّة، إذ استبدل الحياة مع أبيه بالحياة الخارجيّة مع ذاته فقط. ولكنّه «عاد إلى نفسه»: إنّ تِلك الحركة حركة 'باطنيّة'، غير أنّها تفتقر إلى البُعد 'المُتعالي' الذي يمنحه اللهُ وحده. لذا، فقد عاد إلى أبيه أيضًا. وفي عِظة من عِظاته، وصف ما اختبره الابن الضالُّ بنبرات روحيّة وأدبيّة رائعة:

«عِندما يُحبُّ الإنسان ذاته، هل يُقيم في ذاته؟
إنّ النفس التي تنفصل عن الله تشرع في حُبِّ ذاتها
غير أنّها تندفع بعيدًا عن ذاتها
في حُبِّ الأُمور الخارجيّة.
هكذا فإنّ الرسول، إذ قال:
'هُناك مَن يُحبُّون أنفسهم'
أضاف فورًا: 'ويُحبُّون المال'.
شرعتَ في حُبِّ ذاتك. فامكُثْ في ذاتك
إن رأيتَ إلى ذلك سبيلًا.
لماذا تنسكب خارجًا عن ذاتك؟

---

(٢) راجع ما قُلناه على **'الباطنيّة' الأوغسطينيّة** في الفصل السابع من المُجلَّد الأوّل.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

[. . .]
شرعتَ في حُبِّ ما هو خارج عنك
فاختبرتَ فُقدان ذاتك.
فعِندما يخرج حُبُّ الإنسان من ذاته
لينسكب في الأُمور الخارجيّة
إنّه يتشتّت في غمر تِلك الأباطيل
ويستنفد قِواه في إسراف أحمق.
إنّه يفنى ويضطرُّ إلى العوز
ويجد ذاته مُرغَمًا إلى رِعاية الخنازير.
[. . .]
أجل، كان قد وقع من تِلقاء ذاته، وخرج من ذاته.
قد انفصل عن أبيه، فانسكب في خارج ذاته.
[. . .]
ولكن، ماذا يقول المُخلِّص
على هذا الولد الذي أسرف ماله كُلّه؟
'إذ عاد إلى ذاته'.
إذا عاد إلى ذاته، فقد سبق أن خرج من ذاته.
أجل، لقد وقع من تِلقاء ذاته، وخرج من ذاته.
وها إنّه يعود إلى ذاته
ويعود إلى ذاته ليعود إلى الله
وقد وقع من تِلقاء ذاته:
عِندما وقع من تِلقاء ذاته، كان قد خرج من ذاته.
ولكن، عِندما عاد إلى ذاته
عليه ألّا يظلَّ في داخل ذاته، فلا يخرج منها ثانية.
كان قد انفصل عن أبيه، وانفصل عن ذاته
لينسكب في الخارج»
(**عِظات**، ٩٦/ ٢).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فالحركة التي يُظهرها أوغسطينس هي الآتية: من **الانفصال عن الله** إلى **حُبِّ الذات**، فإلى **الضّياع في الأُمور الخارجيّة**، وأخيرًا **فُقدان الذات**. وأمّا حركة الاهتداء فهي العكس تمامًا: من فُقدان الذات إلى الاستبطان الذي يُعيد إلى الذات، فإلى حُبِّ الله.

في النِّهاية، تضع الخطيئة «**تناقُض**» **الرغبة** في قلب الإنسان، إذ تدفعه إلى الخارج، ذلك الخارج المرموز في ثمر شجرة معرفة الخير والشرّ، في حين أنّه يمتلك كُلّ شيء في باطنه الذي بإمكانه أن يُحقِّق ذاته، ذلك لأنّه على صورة الله. هكذا، فإنّ الصورة الإلهيّة عُنصر الحياة الباطنيّة في الإنسان، وأمّا الخطيئة فعُنصر الحياة الخارجيّة السطحيّة فيه. وقد عبّر أوغسطينس عن التناقض بين الحياة مع الله والحياة بدون الله على النحو الآتي:

«حُبُّ الله حتّى احتقار الذات» (وهي 'مدينة الله') /
«حُبُّ الذات حتّى احتقار الله» (وهي 'المدينة الأرضيّة').

وذلك هو تفضيل «الآبار المُشقّقة» على «الآبار العميقة» الذي وصفه إرميا النبيُّ (٢/ ١٣).

بين الحُرِّيّة وحُرِّيّة الاختيار

وأصبحت حُرِّيّة الإنسان حُرِّيّة اختيار، مُنقسمة بين الخير والشرّ، في حين أنّها كانت **أُنطولوجيًّا** كُلّها مُتّجهة نحو الله، أي نحو الخير (Tendere)؛ وأمّا **وُجوديًّا**، بعد دُخول الخطيئة فيه، فقد أصبحت مُنقسمة بين الخير والشرّ، فتنزع إلى الخطيئة ولا إلى النِّعمة فقط (روم ٨/ ٤-١٣)، فعليها أن تختار الواحد أو الآخر، حيث إنّ الشيطان يفصل ويقسم ويُفرِّق[٣].

(٣) للمزيد من التعمُّق في ذلك، راجع ما قُلناه بشأن أوغسطينس في المُلحق=

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

واعتبر **مكسيمُس المُعترف** أنّ حُرِّيّة الاختيار هذه هي علامة عدم كمالها، لأنّ الحُرِّيّة المُوجّهة في حدِّ ذاتها نحو الصلاح، أصبحت مُنقسمة بين الخير والشرّ، وبين النور والظلام، وبين الحقِّ والباطل. والإرادة التي تختار هي عُرضة للأهواء والشهوات، ولم تعُد مُوجَّهة نحو الخير فقط.

وبحسب **مقاريوس**، إنّ حُرِّيّة الاختيار لم تُهدَم، بالرغم من الخطيئة (**الخُطب الروحيّة** ١٢/ ١/ ٦-٧).

وتحسّرت **تِريزا الآبليّة** على وضع البشريّة الخاطئة، في قولها: «كم هي سجينةٌ النفسُ التي تهرب من يديِّ خالقها».

ثانيًا - تشويه علاقة الرجل / المرأة

كانت العلاقة الأصليّة بين الرجل والمرأة في انسجام كُلِّيٍّ وبراءة جِنسيّة كاملة:

«كانا كِلاهما عُريانين، آدم وامرأته
وهُما لم يخجلا»
(تك ٢/ ٢٥).

وبسبب الخطيئة، **انحرفت تِلك العلاقة**:

«انفتحت أعينهما، فعلما أنّهما عُريانان»
(تك ٣/ ٧).

هكذا تشوّهت العلاقة، ذلك بأنّ انسجام الجِنس - المرموز في كونهما عُريانين بدون أيِّ خجل - قد شوّهته الخطيئة، فأصبحا

= الثاني من **خواطر شخصيّة في سِرِّ نِعمة الله وحُرِّيّة الإنسان**.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يندفعان الواحد نحو الآخر اندفاعًا غريزيًّا يشوبه **الانحراف**:

«إلى رجلكِ تنقاد أشواقُكِ
وهو يسودكِ»
(تك ٣/ ١٦).

هكذا حدث انقسام في داخل العلاقة الجِنسيّة، وذلك بغواية الشيطان الذي يفصل ويقسم ويُفرِّق دائمًا وبلا هداوة.

وشتّان بين ذلك الوضع المأسويِّ و**قصد الله الأوّل** الذي يُعبِّر عنه خيرَ تعبير سِفرُ نشيد الأناشيد:

«أنا لحبيبي
ونحوي أشواقه»
(نش ٧/ ١١).

فثمّة تناغم كامل بين الزوجين، لا مكانة للشهوة المُنحرفة ولا للعلاقة المُتسلِّطة.

غير أنّ **الله لم يتركهما** على هذا الحال، لأنّهما لم يزالا على صورته، وإن شُوِّهت هذه الصورة:

«صنع الربُّ الإله لآدم وامرأته أقمصة من جِلد وألبسهما»
(تك ٣/ ٢١).

وتُشير هذه الأقمصة من جِلد إلى ارتباط الإنسان بالطبيعة الحيوانيّة، وفي نِهاية المطاف إلى الموت. وكون الله قد ألبسهما هذا اللِّباس يعني أنّه دخيل على الإنسان، لا بموجب ما قصده الله في البِداية (راجع غريغوريوس النيصيّ، **في النفس والقِيامة**، ١٢٦).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وتجاوز الله ذلك، إذ وعدهما بالخلاص: فقد خاطب الحيّة قائلًا لها:

«أجعل عداوة بينكِ وبين المرأة
بين نسلكِ ونسلها
فهو يسحق رأسكِ»
(تك ٣/ ١٥).

والأعظم من ذلك، أنّ هذا **الخلاص الموعود** قد تحقّق نِهائيًّا بشخص يسوع المسيح الذي

«أحبّ الكنيسة وجاد بنفسه من أجلها ليُقدِّسها
مُطهِّرًا إيّاها بغُسل الماء وكلمة تصحبه»
(أف ٥/ ٢٥-٢٦).

فالمسيح هو العريس والكنيسة عروسه، وبِبذل حياته إلى أقصى الحُدود، قد أعاد العلاقة الزوجيّة إلى ما كانت أصلًا بحسب القصد الإلهيّ، في سِرِّ اتِّحاده بعروسه[٤].

ماذا قال **آباء الكنيسة** في ذلك؟ نعتمد على تحليل أوغسطينس لِتأثيره في الفِكر الغربيّ.

أوغسطينس

نادى أوغسطينس **بصلاح التجنُّس** (Sexualité، أي كون الشخص ذكرًا أو أُنثى) **وبقُدسيّة الزواج** في الأصل كما قصدهما الله، ومن حيث الغاية في العلاقة بين الرجل والمرأة من جِهة وفي

(٤) فضلًا عن قِراءة قِصّة تِلميذي عمّاوس الزوجيّة السابقة، وقد تنعّما بمُشاهدة المسيح القائم لمّا «انفتحت عُيونهما» عِند كسر الخبز.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الإنجاب من جِهة أُخرى؛ فأظهر أهمِّيّة الأمانة الزوجيّة وضرورة الذُّرِّيّة، وكذلك السِّرِّ الكنسيِّ. وعلى خِلاف بعض الآباء، إنّه اعتبر أنّ التجنُّس سابق للخطيئة، ومن ثمّ للموت؛ كما أنّه رفض رفضًا قاطعًا أن تكون خطيئة آدم وحوّاء مُتعلِّقة بالجِنس، بحسب رأي بعض المسيحيّين ولا سِيّما الغُنوصيّين، لأنّ الجسد كان، قبل الخطيئة، خاضعًا خُضوعًا كاملًا لله وللروح (**في التكوين**، ٩/ ١٩/ ٣٦، ١١/ ٤١/ ٥٧؛ **مدينة الله**، ١٤/ ١٧)[٥]. غير أنّ **الشهوة الجِنسيّة** (باليونانيّة: Libido؛ باللاتينيّة: Concupiscencia) هي، في نظره، نتيجة الخطيئة وعلامتها الفاضحة، ومِن ثمّ فهي شرّ، ذلك بأنّها تشويه لطبيعة التجنُّس الأصليّة، وهي، في حدِّ ذاتها، صالحة، لا في أصلها فحسب، بل في غايتها أيضًا. وثمّة صيغتان، صيغة ترقى إليه، وصيغة ترقى إلى مُجادله يوليانُس الإفْلانيّ:

«مَن استخدم تِلك الغريزة الجِنسيّة استخدامًا مشروعًا
استخدم شرًّا بطريقة خيِّرة.
ومَن استخدمها استخدامًا غير مشروع
استخدم شرًّا بطريقة شِرّيرة»
(**في الزواج والشهوة**، ٢/ ١٩/ ٣٤، ٢/ ٢١/ ٣٤-٣٦).

وبقصير العِبارة، إنّ المُمارسة الجِنسيّة الشرعيّة هي، في نظر أوغسطينس، مُمارسة شرٍّ بطريقة خيِّرة أو شِرّيرة؛ وذلك نقيض مُحاوره حيث إنّها مُمارسة خيرٍ بطريقة قد تكون خيِّرة أو شِرّيرة:

---

(٥) ثمّة رأي غريب يرقى إلى أوغسطينس، ولكنّه غير يقينيّ، وهو أنّ مُمارسة الجِنس ستظلُّ في الحياة الأبديّة، ولكن بدون ربطه بالإنجاب، وذلك بالرغم من كلام يسوع الصريح في شأن عدم الزواج. والمعروف أنّ الإسلام يتصوّر وُجود حُوريّات في السماء.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«مَن حافظ على الاعتدال في مُمارسة الشهوة الطبيعيّة
استخدم خيرًا بطريقة خيِّرة.
ومَن لا يُحافظ على الاعتدال
يستخدم خيرًا بطريقة شِرّيرة»
(٢/ ١٩/ ٣٤).

بالفِعل، ثمّة نظرتان أنثروبولوجيّتان تتواجهان. وأمّا نظرة أوغسطينس السلبيّة، فتعود إلى ماضيه العصيب في هذه الخطيئة بالذات، قبل اهتدائه:

«كنتُ في مُراهقتي مُتمرِّغًا في الملذّات
ولم أخجل من أن أنشرح انشراحًا همجيًّا
في أنماط مُتقلِّبة ومُظلمة من الحُبّ»
(**الاعترافات**، ٢/ ١/ ١).

«لم أعُد أُميِّز بين وداعة انبهار الحنان
وسواد الروح الشهوانيّة»
(٢/ ٢).

كيف يُبرِّر أوغسطينس موقفه؟ هُناك علاقة ثُلاثيّة تجمع بين النِّعمة والروح والجسد: مادام الروح خاضعًا لله، فالجسد خاضع للروح؛ غير أنّه نجم عن عِصيان الروحِ اللهَ أنّ الروح خضع للجسد، فاقدًا سيطرته على ذاته وعلى جسده، إذ نال الجسدُ استقلاله، لا سِيّما تُجاه الروح والإرادة (**مدينة الله**، ١٤/ ١٧؛ **في الزواج والشهوة**، ١/ ٦/ ٧). وبعِبارة أُخرى، قبل الخطيئة، كان الإنسان يتميّز بوحدة جسده وروحه، بدون ثُنائيّة بينهما ولا انقسام، لأنّه كان مُتّجهًا كُلِّيًّا نحو الله، ولا سِيّما جسده الذي كان يتروْحن تدريجًا؛ وبحسب عِبارة الفيلسوف الوُجوديِّ غُبريال مارْسيل، إنّ الحقيقة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأنثروبولوجيّة تكمن في أنّ «الجسد مُرَوْحَن» و«الروح مُتجسِّد». وأمّا الخطيئة، فقد مسّت تِلك الوحدة الأُنطولوجيّة، وأدخلت انفصامًا بين الروح والجسد الذي طالب باستقلاله تُجاه الروح، بل سيطر على الإرادة وقراراتها؛ من هُنا تصرُّفات الجِنس العنيفة والمُستبدّة والمُستقلّة. وإذ تتضمّن الشهوة الجِنسيّة أنانيّة، بل وكِبرياء كامن، ذلك بأنّها تصبو إلى المُطلق[٦]، فإنّها تُعتبَر عُبوديّةً فعليّة وفشلًا ذريعًا واستعباد الجسدِ الحواسَّ. إنّ ذلك الانحراف إشارة إلى تشويه العلاقة بالله، وهو أصلًا تشويه بسبب الروح وكِبريائه أصلًا تُجاه الله، لا بسبب الجسد نفسه (**مدينة الله**، ١٤/ ٥)[٧].

بالرغم من ذلك، فإنّ **في نظرة أوغسطينس شيئًا من الالتباس** الذي أثّر في الأجيال اللاحقة: تتمُّ وِراثة الخطيئة الأصليّة عن طريق الشهوة، لأنّها تُلازم فِعل الإنجاب. حتّى إنّ بعض عِباراته توحي بأنّ الشهوة والخطيئة في الأصل مُترادفتان ومُتلازمتان، بالرغم من أنّه صرّح أنّ الخطيئة الأصليّة تمحوها المعموديّةُ، وأمّا الشهوة فتظلُّ بعد المعموديّة؛ وليست الحُرِّيّة هي التي تشفي الإنسان من الشهوة، بل النِّعمة[٨]. ثُمّ إنّ أوغسطينس لم يُوضِّح أنّ المُمارسة الجِنسيّة، القابلة للأنانيّة، هي قابلة لتبادل العطاء الزوجيِّ والتطهير أيضًا، فتنقصه إذًا روحانيّة الزواج المسيحيِّ الصحيحة.

---

(٦) يُوضِّح ذلك كوستي بندلّي في كِتابه المشهور **الجِنس ومعناه الإنسانيّ**. راجع أيضًا مقالنا الآنف ذِكره.

(٧) لذلك صرّح بولس بنبرة أنثروبولوجيّة وثِيولوجيّة غايةً في العُمق: إنّ الرجل يمتلك جسد امرأته، والمرأة جسد رجلها (١ قور ٧/ ٣-٤).

(٨) لقد فسّر «شوكة» بولس (٢ قور ١٢/ ٧ ت) على أنّ شهوته ظلّت بعد اهتدائه، كي يختبر ضُعفه الجسديّ بتواضع، فيلجأ إلى الله، حتّى ينال الخلاص.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بالرغم من ذلك، فبوجه عامّ، يُمكن الجزم أنّ الجسد، في نظر أوغسطينس، ليس **مصدر الشرّ** مِثلما ادّعته الغُنوصيّة بوجه عامّ، والفالَنْتينيّة بوجه خاصّ.

وتظهر نتيجة الخطيئة في **الانفصال** بين الرجل والمرأة، ففيما كان الله يُوجِّه كلامه إليهما معًا قبل الزلّة، حاورت الحيّة حوّاء على انفراد؛ وعليه، وجّه الله كلامه إلى آدم على انفراد. وانقلب إعجاب آدم بحوّاء. فقد سبق أن قال عِندما ظهرت إلى الوُجود:

«هي عظم من عِظامي، ولحم من لحمي»
(تك ٢/ ٢٣)

أمّا بعد الزلّة، فإنّه جاوب الله:

«المرأة التي جعلتَها معي
هي أعطتني من الشجرة فأكلتُ»
(تك ٣/ ١٢).

كأنّي به يتبرّأ منها، بل ويستنكرها، فضلًا عن أنّه لم يعترف بخطئه، لا هو ولا هي، كما سنراه.

ثالثًا - تشويه علاقة الأخ بأخيه الإنسان

من الانفصال عن الله إلى الانقسام بين البشر

لقد **فصل الشيطان بين الإنسان وأخيه الإنسان**. ولقد اعتبر أرسطو أنّ

«Ônthrôpos phusei politikon zôon».
«الإنسان كائن حيٌّ مُجتمعيٌّ بطبيعته»
(**في السياسة**، ١/ ١٢٥٣ أ٣)

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وإن وافقه أوغسطينس على ذلك:

«كأنّه مُنقاد، بقوانين طبيعته
إلى تكوين جماعة مع البشر»
(مدينة الله، ١٩/ ١٢/ ٢)،

إلّا أنّ 'الطبيعة' الخيِّرة هذه، قد انحرفت، إذ جعل الشيطان الشخصَ المُتّحد بسائر الأشخاص فردًا يتصارع مع أخيه، وذلك في المُجتمع الذي يجمع البشر. ففيما كانت البشريّة الأصليّة واحدة في آدم وحوّاء، مُتضامنة في الصورة الإلهيّة، أصبحت مُجزَّأة، مُنقسمة، مُتنازعة، مُتفرِّقة، مُتوازية المسير والمسار، يسعى كُلُّ فرد وراء امتلاك الطبيعة البشريّة لذاته وحده، عنيفًا نحو أخيه، مُقصيًا إيّاه[٩].

فمُنذ البِداية، والحسد والحِقد والغيرة تفشّت **بين الإخوة**، وكثُرت العداوات بينهم: قاين وهابيل (تك ٤)، وإسحق وإسماعيل (تك ١٦)، ويعقوب وعيسو (تك ٢٧/ ٤١ ت)، ويوسف وإخوته

---

(٩) «الإنسان ذئب لأخيه الإنسان» (هوبْسْ). ولقد استفاض هيغِل في وصف عُنف العلاقات البشريّة، مُعتبرًا أنّ العُنف سِمة أنثروبولوجيّة أساسيّة، وأن نُموذجها علاقة السيِّد / العبد، إلّا أنّه استثنى منها علاقة الرجل / المرأة التي تخضع لمنطق الحُبّ. ولقد وضع الإنسان حدًّا لذلك العُنف في أنّه سنّى قوانين تُقنِّن العلاقات البشريّة ولا تتركها خاضعة لقانون الغابة. ونجد ملامح لهذه القوانين في مِثل القانون اليهوديِّ «العين بالعين، والسِّنّ بالسنّ» الذي يُعتبر تقدُّمًا ملحوظًا في العلاقات البشريّة الهمجيّة.
نُقدِّر، في ضوء فينومينولوجيا العلاقات البشريّة هذه، أهمِّيّة 'وصيّة المحبّة' التي علّمها ومارسها يسوع الناصريُّ الذي عاد هكذا إلى قصد الله الأوّل، ولم يكتفِ بالوصف الفينومينولوجيِّ الجُزئيّ لا الشامل، إذ تعتمد الفينومينولوجيا على مظهر ظاهرة العلاقات، بدون أن تتطرّق إلى أصل الخير الأصيل (الله)، ولا إلى أصل الشرِّ الدخيل (الشيطان).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

(تك ٣٧/ ١٢ ت). . . وفي العهد الجديد: مَثل الابن البِكر وأخيه الابن الضال، وهو مثل نُموذجيّ (لو ١٥/ ١١ ت).

وانتشر الشرُّ **بين بني البشر**، لا بين الإخوة فقط، حتّى:

«رأى الربُّ أنّ شرّ الناس قد كثر في الأرض
وأنّ كُلّ تصوُّر قلوبهم إنّما هو شرٌّ في جميع الأيّام
فندم الربُّ أنّه عمل الإنسان في الأرض
وتأسّف في قلبه»
(تك ٦/ ٥-٦).

واستفاضت المزامير في وصف حالة البشر الكئيبة هذه:

«زاد على شعر رأسي
عددُ الذين أبغضوني بلا سبب
وقوِي مَن يُريدون هلاكي
مَن بالكذب عادوني»
(مز ٦٩/ ٥).

وبلغ بهم الأمر أنّ ألسنتهم قد «تبلبلت»، فـ«تبدّدوا» على وجه الأرض، لا سِيّما عِندما حاولوا أن يرفعوا «بُرجًا رأسه السماء» (تك ١١/ ١-٩)[١٠]. هكذا انتشر الشرُّ إلى حدِّ أنّ البشريّة أقصت نفسها بنفسها، وقد عبّر الوحي عن ذلك تعبيرًا رمزيًّا في قِصّة 'الطوفان' (راجع تك ٤/ ٢٤، ٦/ ١٣).

أنواع الخطايا

لقد عبّر مُختلف الآباء - أمثال أكليمندس الإسكندريّ، ومكسيمُس المُعترف، ويوحنّا الدِّمشقيّ، وغيرهم. . . - عن ذلك

(١٠) إنّ **عنصرة الروح القُدس** هي على نقيض **بلبلة بُرج بابل**، فقد اجتمعت الشُّعوب المُشتّتة وفهمت بعضها بعضًا بالرغم من اختلاف ألسنتها.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الوضع البشريّ المأساويّ بوصفهم العداء بين البشر، من عُنف وتسلُّط، واشتهاء واغتصاب، واستعباد واستغلال، وتعذيب وقتل، ونِزاعات وحُروب... وثمّة **نماذج مُختلفة من الخطايا بين البشر**، نذكر بعضها الوارد في الكِتاب المُقدّس:

١ - العُنف

«قال قاين لهابيل أخيه:
'لنخرج إلى الحقل'.
فلمّا كانا في الحقل
وثب قاين على هابيل أخيه فقتله»
(تك ٤/ ٧-٨).

إنّ النصّ العِبريّ الأصليّ لا يذكر قول قاين هذا، ما سبّب عُنفه، سواء أكان معنى اللاقول أن لا شيء يُقال (rien n'est dit)، أم دلّ على حِوار بدون تفاهُم (dialogue de sourds)؛ والمعروف في عِلم النفس أنّ الكلمة تُحرِّر، بيْد أنّ عدم الإفصاح يُسبِّب كبتًا فعُنفًا. وما يُذكر من كلام الحيّة لآدم (إذا أكلتَ مُتّ) أنّه يتضمّن العُنف في أقصى مظاهره وأفعاله، أي **الموت**.

٢ - اللامُبالاة

وهي النظر بدون الرؤية، مِثل الكاهن واللاويّ في مَثل السامريّ الصالح الذي ضربه يسوع (لو ١٠/ ٢٥ ت)، وهُما رمز للعَمى، بحسب قول الفيلسوف بول ريكور. وقد سبق أن حلّله أشعيا النبيُّ واستشهد به يسوع نفسه: «ينظرون ولا يرون»[١١].

(١١) مثل مُعاصر: **الأُمّ تريزا الكلْكوتّيّة**، عِندما رأت في الشارع طِفلًا وعجوزًا=

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٣ - «البُخل الروحيّ» (أوغسطينس)

ينطلق أوغسطينس من قول بولس:

«إنّ حُبّ المال أصل كُلِّ شرّ»
(١ طيم ٦/ ١٠).

فيعتبر أنّ **البُخل حسدٌ ورغبةٌ خسيسة في امتلاك ما يخصُّ الجميع**. فبقدر ما خطيئة الكِبرياء تتعلّق بالله، إنّ خطيئة البُخل تتعلّق بالإنسان، وهي الخطيئة الوحيدة ضِدُّ المحبّة الأخويّة. وذلك ما فعله قاين تُجاه هابيل أخيه، بعد خطيئة آدم وحوّاء تُجاه الله: فبعد إقصاء الإنسانِ اللهَ من حياته، إنّه يُقصي أخاه الإنسان، ليمتلك كُلّ شيء وحده. بين تشويه العلاقة بالله والعلاقة بالإنسان، هُناك صِلة وثيقة، ذلك بأنّهما تتعلّقان بالحُبّ، وإذ رُفضت علاقة حُبِّ الله، نجم عنها رفضُ علاقة حُبِّ الإنسان. وإنّ البُخل هو الرغبة في امتلاك كُلِّ شيء من دون مُشاركة الآخرين، أي أنّ الجُزء يُريد أن يكون شاملًا، بيْد أنّه يجب الاعتراف بالآخر فالاعتراف بالحُدود الشخصيّة. وعليه، فثمّة قول أوغسطينس المأثور:

« Amor proprius, Amor privatus ».
«الحُبُّ الذي يمتلك هو حُبٌّ يحرم نفسه».

وما المخرج إلّا بحُبٍّ مُطهَّر يُريد الآخرين كما يُريدهم الله: مُختلفين، في سبيل الاتِّحاد بهم والمُشاركة معهم. فقِصّة الله مع البشر عطاء؛ وعليه، ينبغي للإنسان أن يتمثّل، في مُعاملته مع الإنسان، بعطاء الله، وذلك بالمُشارَكة الأخويّة من جِهة، والحمد لله

=مُشرَّدِيْن، أسّست الملاجئ لاستضافة أمثالهما والاهتمام بهم، في حين أنّ غيرها رأوا مشاهد مُماثلة ولم يفعلوا شيئًا.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

واهبِ العطايا من جِهة أُخرى. ولقد اشتهر وصف أوغسطينس الصِّراعَ بين 'مدينة الله' و'المدينة الأرضيّة':

«إنّ حُبَّين قد شيّدا مدينتين:
أحدهما مُقدَّس
والآخر نجِس.
أحدهما مُتّجه نحو الآخرين
والآخر مُركَّز على نفسه.
أحدهما مُهتمٌّ بصالح الجميع في سبيل المدينة السماويّة
والآخر ذاهب حتّى إخضاع الصالح العامّ
للتحكُّم الشخصيِّ في سبيل تسلُّط مُتعجرف.
أحدهما صديق الله
والآخر مُنافس الله.
إنّ هاتين المدينتين، المُمتزجتين إلى حدٍّ ما في الزمن
تعبُران الأجيال
إلى أن تنفصلا في الدينونة العُظمى»
(في التكوين، ١١/ ١٥/ ١٩-٢٠).

ولذا، فإنّ **ملامح الخطيئة** هي الملامح عينها التي سبق أن وجدناها في ما يختصُّ بالعلاقة بالله: إنّها قاتلة، كذّابة، مُحرِّفة للحُبّ[١٢].

٤ - شهوة التسلُّط (أوغسطينس: Libido dominandi)

لقد كلّف الله آدم وحوّاء بإخضاع الكون والتسلُّط عليه (تك ١/

(١٢) في نوعيّة علاقات البشر الانقساميّة (سيِّد/عبد، العلاقة الفردانيّة...)، راجع الفصل الثامن من كِتابنا: **بين وحي الله وإيمان الإنسان**. وحول تاريخ الخلاص باسترجاع وحدة البشر، راجع مقالنا: **خواطر لاهوتيّة في الوحدة المسيحيّة**، في مجلّة **المشرق** ٢٠٠٧/ ٨١/ ١، ص٧-١٥.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢٨ ت). فتِلك النزعة قد انحرفت بسبب الخطيئة، إذ تسلّط على أخيه الإنسان، لا على الحيوانات والأرض فقط. ولقد اعترف أوغسطينس أنّها مُتأصِّلة في الإنسان، لولا نِعمة الله التي تعمل فيه لتعود الحياة المُجتمعيّة إلى أصلها.

الخُلاصة

في ضوء **جسامة الخطيئة ضِدِّ الأخ والشركة الأخويّة**، باستطاعتنا فهم عِتاب بولس للقورنثيّين في هذا المِضمار (١ قور ١/ ١٠-١٧)، ذلك بأنّ الحياة بدون المحبّة الأخويّة التي امتدحها مُطوَّلًا (١ قور ١٣)، تُسيء إلى مِصداقيّة الحياة التي شيّدها يسوع المسيح، لا في تعاليمه فحسب (من محبّة جميع البشر حتّى الأعداء، وبذلِ الحياة في سبيلهم)، بل بحياته نفسها حتّى مماته.

الخاتمة

إنّ العِبرة واضحة: **الانفصال عن الله يفصل بين البشر** على جميع مُستويات الأوضاع والعلاقات البشريّة. وفيما يظنُّ بعض الناس بسذاجة أنّ القضايا والمشاكل تُحلُّ إنسانيًّا فقط -على صعيد سياسيٍّ أو اجتماعيٍّ أو اقتصاديّ... -، تسمح لنا الجولة التي قُمنا بها في هذا الفصل بأن نؤكِّد أنّ **لله كلمة في حلِّها**، لأنّه مصدر خلاص الإنسان من ذاته ومن خطيئته، كما سنراه لاحقًا.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الثالث

تشويه علاقة الإنسان بالخليقة

المُقدِّمة

شوّهت الخطيئة علاقة الإنسان بالخليقة ولا سِيّما **بالحياة/ الموت**، وهُما قضيّتان أنثروبولوجيّتان جوهريّتان. كيف ذلك؟ سنتناول كُلّ قضيّة على حِدة.

أوّلًا - علاقة الإنسان بالحياة

ثمّة وجهان من وُجوه **الوُجود البشريّ** قد تأثّرا بالخطيئة، كما تذكرهما رِواية الزلّة: المرأة ولا سِيّما الوِلادة / الرجل ولا سِيّما العمل. بحسب الفيلسوف اللاهوتيّ جان غيتونْ في كِتابه الشهير **الحُبّ البشريّ** (Jean Guitton, *L'amour humain*)، إنّ الرجل، أكثر ما يكون، «تاريخ»، والمرأة، أكثر ما تكون، «طبيعة»، بمعنى أنّ الرجل يصنع التاريخ البشريّ في عمله خارج الدار وخارج حياته الأُسريّة، بيْد أنّ المرأة مُرتبطة في جسدها بالطبيعة، ولا سِيّما في عادتها الشهريّة وفي إنجابها الأطفال. الحقّ يُقال إنّ توزيع الأدوار، بهذا الشكل الواضح، لم يعُد اليوم صحيحًا، لأنّ المرأة تتحمّل،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في عالمنا المُعاصر، مسؤوليّات تاريخيّة لا تقلُّ أهمّيّة وفاعليّة عن دور الرجل[1]. ولكن، مهما كان الأمر اليوم، وأيّا كانت التطوُّرات في مُختلف المُجتمعات البشريّة، إلّا أنّنا نعتمد على ما يُشير إليه الكِتاب المُقدّس من تمييز بين الأدوار في الحياة:

«لأُكثرنّ مشقّات حملكِ تكثيرًا» (تك ٣/ ١٦)

«لأُكثرنّ مشقّات حملِك تكثيرًا.
فبالمشقّة تلدين البنين».

لا ننسَ أنّ اسم «حوّاء» يعود إلى أنّها «**أُمّ الأحياء**» (تك٣/ ٢٠)، بموجب أنّها تُنجب إلى الحياة أبناء وبنات. فلا غرابة إن خصّ الله بالذِّكر ذلك في حديثه إليها، وكما رأينا أنّ الخطيئة قد مسّت كُلّ شيء في شخص الإنسان وفي علاقاته، فقد مسّت علاقتها الحيويّة، لها ولأولادها، بالإنجاب، فتظهر المشقّات في ذلك العمل، في حين أنّه كان، في قصد الله، بدون ألم ومشقّة وصُعوبة على خِلاف ما يحدث اليوم في كُلِّ حَمْل ووِلادة.

«ملعونةٌ الأرضُ بسببكَ» (تك ٣/ ١٧)

«ملعونةٌ الأرض بسببك
بمشقّة تأكل منها طُول أيّام حياتك
وشوكًا وحسكًا تُنبت لك، وتأكل عُشب الحُقول،
بعرق جبينك تأكل خُبزًا حتّى تعود إلى الأرض
فمِنها أُخذتَ لأنّك تُراب وإلى التُّراب تعود»
(تك ٣/ ١٧-١٩).

---

(١) في الحضارات المبنيّة على المرأة ونُفوذها (بالفرنسيّة: Matriarcat)، كانت **المرأة** تهتمُّ بالزِّراعة حول دار العائلة، في حين أنّ **الرجل** كان يهتمُّ بالصيد خارج الدار.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لقد سبق أن رأينا أنّ **العمل** - منه عمل الأرض - ليس لعنة أو عقابًا، بل المشقّات فيه. فلولا الخطيئة، لكان الإنسان حقّق ذاته ودعوته في تسخير الكون والحيوانات والأرض، بدون مشقّه ولا تعب. شأنه شأن الحُبِّ والعطاء والإبداع...

ومن جِهة أُخرى، يُلاحَظ أنّ **الرجل هو الذي يُسبِّب لعنة الأرض**، بيْد أنّ عِقاب المرأة من الله وليست هي التي تُسبِّب مشقّات الوِلادة، ما يعني تخفيف مسؤوليّتها، وقد رأينا في خلق المرأة أنّها تتميّز عن الرجل. ويُمكننا تطبيق تِلك اللعنة على عالمنا اليوم حيث **الكوارث البيئيّة** التي مصدرها الأوّل هو الإنسان (اختراق طبقة الأُوزون، ارتفاع درجة حرارة الأرض، هدم الغابات، استغلال الأرض استغلالًا مُفرطًا...). فسيِّد الخليقة أصبح عبدًا لها، باستعماله إيّاها استعمالًا خاطئًا، سواء بالعِلم والتكنولوجيا، أو بأخلاقيّاته.

ثانيًا - علاقة الإنسان بالموت

إنّ **الموت** - وأشكاله المُتنوِّعة من ألم ومرض، ومن بؤس وحُزن... - والتفاسير في شأنه، أثارت جِدالات كِتابيّة ولاهوتيّة وفلسفيّة كثيرة على مرِّ القُرون والأجيال والمجالات. نتطرّق إليها من خِلال أبرز وُجهات النظر:

إيريناوس

قال بصريح العِبارة:
«إنّ الخُضوع لله هو عدم فساد»،

بيْد أنّ عِصيان آدم أدخل الموت (ضِدّ الهراطقة، ٥/٢٣/١؛ **الحُجّة**، ١٦).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

لقد أطلق على **الشيطان** اسم «مبدإ الجُحود» (باللاتينيّة: Princeps obscessionis)، أو «مبدإ المُخالفة» (Princeps transgressionis)، وذلك

«بسب غيرته وحسده إزاء الإنسان»
(**الحُجّة**، ١٦).

هكذا، فإنّ خطيئته، خطيئة الكِبرياء ضِدِّ الله، هي في آن خطيئة حسد تُجاه الإنسان، بحسب الكِتاب:

«بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم»
(حِك ٢/ ٢٤).

ولقد فسّر الكاتب المُلهَم سِفرَ التكوين، وأيّده يوحنّا في كُتبه (يو ٨/ ٤٤؛ ١ يو ٣/ ٨؛ رؤ ١٢/ ٩، ٢٠/ ٢). وقد اعتبر بولس الموتَ موتًا روحيًّا، عاقِبتُه الموت الجسديّ (روم ٥/ ١٢ ت).

١ - تفسيره روم ٥/ ١٢-١٩

تتمحور قِراءة إيريناوس حول **المسيح** الذي «يجمع ويدمج تحت رأس واحد» (باللاتينيّة: Recapitulatio أف ١/ ١٠) آدم، ولا سِيّما خطيئة آدم سببِ الموت، وانتصار صليب المسيح منبعِ الحياة الخالدة. وها هو نصُّ بولس:

«كما أنّ الخطيئة دخلت في العالم عن يد إنسان واحد
وبالخطيئة دخل الموت
وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس
لأنّهم جميعًا خطئوا [٢]...

(٢) سنشرح لاحقًا مُختلف تفاسير هذه الآية، ولا سِيّما مُختلف ترجمات «لأنّ».

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ساد حتّى الذين لم يرتكبوا خطيئة تُشبه معصية آدم
وهو صورة الذي سيأتي.
ولكن ليس الهِبة كمِثل الزلّة:
فإذا كانت جماعة الناس قد ماتت بزلّة إنسان واحد
فبالأَولى أن تفيض على جماعة الناس
نعمةُ الله والعطاءُ الممنوح بنعمة إنسان واحد
ألا وهو يسوع المسيح...»
(راجع **ضِدّ الهراطقة**، ٣/ ٢١/ ١٠)،

ويشرح إيريناوس ذلك بقوله في المسيح:

«إذ جمع - دمج في ذاته جميع الأشياء
فكذلك جمع - دمج حربَنا مع عدوِّنا:
لقد استفزّ وانتصر على الذي أَسَرْنا مُنذ البدء في آدم
وسحق رأسه
بحسب كلمات الله للحيّة الواردة في [سِفر] التكوين:
'أجعل عداوة بينكِ وبين المرأة، بين نسلكِ ونسلها
فهو يسحق رأسكِ وأنتِ تُصيبين عقَبه'
(تك ٣/ ١٥)».

هكذا فإنّ المسيح الجامع - الدامج أصعدنا نحو الحياة، وجعلنا ننتصر على الموت. وبعِبارة أُخرى، إنّ الجمع - الدمج هو بمثابة خلق جديد للإنسان الخاطئ، ذلك بأنّه قاوم الشِّرِّير كما قاومناه، ولكنّه انتصر عليه حيث زللنا (**ضِدّ الهراطقة**، ٥/ ٢١/ ١). وسنرى لاحقًا أنّ تضامن الإنسان في الشرِّ والخطيئة ليس الكلمة الأُولى ولا الأخيرة، بل تضامنه في الخلاص من الخطيئة والعهد مع الله.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢ - الموت خير

بالرغم من زلّة الإنسان التي استوجبت له الموت، فإنّ الموت خير إذ **يضع حدًّا للخطيئة**، ذلك لأنّ الله:

«أوقف هكذا مُخالفة الإنسان
مُدخلًا الموت ومُبطلًا الخطيئة
إذ فرض عليها نِهايةً بانحِلال الجسد في الأرض
حتّى إذا انقطع عن الحياة في الخطيئة ومات عنها
بدأ الحياةَ مع الله»
(**ضِدّ الهراطقة**، ٣/ ٢٣/ ٦).

٣ - النفس بين الموت والخُلود

ما قصده إيريناوس بالموت: هل قصد الموت **الجسديّ**، أو **النفسيّ**، أو **الروحيّ**؟ لقد عرّف الموتَ بهذه الكلمات:

«هو فُقدان نمط كيان الحيّ
وصيرورتُه بدون نفَس، ولا حياة، ولا حركة
والذوبانُ في العناصر الممنوحة التي تُكوِّن مبدأ وُجوده».

ولا يختصُّ الموتُ بالروح لأنّه يشترك في روح الله، ولا بالنفْس لأنّها نفَس الحياة فهي خالدة، بل يختصُّ بالجسد (**ضِدّ الهراطقة**، ٥/ ٧/ ١).

وإنّ **خُلود النفْس** يُثير قضيّة خُلود الهلاك. وقد استخدم تاتْيانُس عِبارة «الموت في الخُلود»، قاصدًا الشياطين. وأمّا إيريناوس، فقد ميّز بين موتين: «الموت الأوّل» الذي هو انفصال النفْس عن الجسد، و«الموت الثاني» الذي يستوجبه الهالكون. كما أنّ هناك حياتين: الحياة الأرضيّة الفاسدة، والحياة السماويّة غير الفاسدة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تي هي اشتراك في حياة الله (**ضِدّ الهراطقة**، ٤/ ٢٠/ ٧، ٥/ ١٨/ ٢). هكذا فإنّ خُلود النفس جِهاد، استوحاه إيريناوس من تشبيه بولس بتنافس الرِّياضيّين (١ قور ٩/ ٢٤-٢٧، راجع **ضِدّ الهراطقة**، ٤/ ٣٧/ ٧)؛ وليس الخُلود من جرّاء طبيعة النفس، كما ادّعته الأفلاطونيّة والأفلاطونيّة الحديثة، وتبنّاه أوريجانس[٣].

الآباء الشرقيّون

بحسب الآباء الشرقيّين، إنّ الإنسان، بسبب انفصاله عن الله، وهو مصدر الحياة، نال الموت، أي الانفصال عن حياة الله. فالموت هو إذًا **موت روحيّ** أساسًا، إذ إنّ الإنسان يترك الله. هذه هي «الكارثة الكيانيّة» و «موت النفْس الغير المائتة الأبديّ»، كما وصفها غريغوريوس بَلاماس. وأمّا الموت الجسديُّ فهو ثمرة الخطيئة، إذ إنّ

«الجسد بلا روح ميت»
(يع ٢/ ٢٦).

١ - ولكن قد حُفظت «**أبديّة**» الجسد، بموجب الصورة الإلهيّة، وذلك بالمعموديّة:

«يتمّ تأمُّل قِيامة الأجساد مُنذ اليوم بالإيمان.

---

(٣) في كلام الأديب دوستويفْسكي، صدى لمُعتقَد الخُلود:
«الله موجود، إذًا أنا خالد.
وخُلودي أمر حتميٌّ
لمُجرّد أنّ الله لن يُريد أن يُطفئ للأبد شُعلة حُبّي له التي اشتعلت في قلبي».
ونذكر كلمة غُبريال مارْسيل الشهيرة:
«بقولي لأحد: 'إنّي أُحبُّك'، أقصد: 'لن تموت'».

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وأمّا قِيامة الروح، فإنّها تبدأ بالمعموديّة الإلهيّة»
(**عِظات**، ١٦).

ولا تقتصر «قِيامة الروح» على جُزء من الإنسان، بل تشمل كُلِّيّته،

«بما أنّ طبيعة الإنسان مُزدوجة
مُركَّبة من النفس والجسد
فلقد منحنا [الله] تطهيرًا مُزدوجًا من الماء والروح:
فالروح يُجدِّد ذلك الجُزء الذي هو على صورته ومِثاله
والماء - بفضل نِعمة الروح - يُنظِّف الجسد من الخطيئة
ويُخلِّصه من الفساد.
والماء يُعبِّر بحقٍّ عن صورة الموت
ولكنّ الروح يُقدِّم عُربون الحياة»
(يوحنّا الدِّمشقيّ، **الإيمان الأُرثوذكسيّ**، ٤/ ١٣).

«نؤمن بقِيامة الموتى
إذ ستكون هُناك في الحقيقة قِيامة للموتى.
وبالقِيامة نعنى قِيامة الأجساد
إذ إنّ النُّفوس غير مائتة، فكيف يُمكنها أن تقوم ثانيةً؟
فإذا كانوا يُعرِّفون الموت بأنّه انفصال النفس عن الروح
فإنّ القِيامة هي حتمًا إعادة الاتِّحاد بين النفس والجسد
وهي الحالة الثانية التي تتّصف بها الخليقة الحيّة
التي هي من الفناء والسُّقوط.
إنّ هذا الجسد بالذات القابل للفساد المُتعرِّض للفناء
سوف يكون غير فانٍ ثانيةً
إذ إنّ الذي صنع [الجسد] في البدء من تُراب الأرض
لا يفتقر إلى القُوّة كي يُقيمه ثانيةً
بعد أن يفنى ويعود إلى الأرض التي أُخذ منها»
(**المرجع نفسه**، ٤/ ٢٧).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هكذا، فإنّ الانسجام الأوّل بين الجسد والروح، وقد أفقدتْه الخطيئة، يعود في الأبديّة. وبالتالي،

«إذا كانت النفس وحدها تُشارك في اكتساب الفضيلة
فإنّ النفس وحدها سوف تنال الإكليل.
وإذا كانت النفس وحدها تنغمس في الملذّات
فإنّ النفس وحدها سوف تُعاقَب.
ولكن، بما أنّ النفس لا تُمارس فضيلة أو رذيلة
مُنفصلةً عن الجسد
فإنّ كليهما [النفس والجسد] سيحوزان ثوابهما معًا»
(**المرجع نفسه**).

٢ - وإنّ الإيمان والمعموديّة يستدعيان «**الجِهاد الروحيّ**»:

«بالرغم من أنّ الربّ قد منحنا أن نُولد ثانيةً بالمعموديّة، وقد خُتمنا في يوم الفِداء بختم نِعمة الروح القُدس، فإنّه سمح، مع ذلك، بأن نملك جسدًا مائتًا ذا أهواء أيضًا. وبالرغم من أنّه طرد رئيس الشرِّ من كُنوز نفسنا، فإنّه يسمح له مع ذلك بأن يُهاجمنا من الخارج، لكي يتمرّس الإنسان المولود بحسب العهد الجديد، أي إنجيل المسيح، بأن يدفع هجمات العدوّ (أي إبليس)، ويستعدّ هكذا لاستقبال عدم الموت»
(غريغوريوس بَلاماس، **عِظات**، ١٦).

٣ - إنّ **الموت الجسديّ عاقبة الخطيئة**، لا عِقاب:

«أُجرة الخطيئة هي الموت»
(روم ٦/ ٢٣).

وإنّ الموت رحمة من الله، بمعنى أنّه لم يُرد أن يظلّ الإنسان في

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

حالة الخطيئة المُستديمة والسُّقوط الدائم، ذلك بأنّ الموت يُحرِّره منهما، إذ يُدخل بُعد **الخلاص** بموت المسيح وقِيامته، وهو باكورة الراقدين. والإنسان يشترك في الخلاص، إذ يتحوّل من عُبوديّة الخطيئة إلى البِرِّ والقداسة (روم ٦/ ١٩-٢٢)[٤].

الخاتمة

توصّلنا في مسيرتنا إلى أنّ **الخطيئة شوّهت علاقات الإنسان برُمّتها**، ولم تستثنِ جانبًا من جوانب حياته، بل ولا موته. نُقدِّر هكذا جسامتها وفظاعتها، فليست فِعلًا بريئًا، بل هي كارثة بتمام معنى الكلمة، لولا تدخُّل الله لإنقاذ الإنسان من أهوالها واستعبادها وعواقبها.

يتبقّى لنا تساؤل جوهريٌّ وهو: ما تأثير خطيئة آدم وحوّاء على **ذُرِّيّتهما**؟ هل من وِراثة في الخطيئة؟ لو لم يُخطئا أخطئ الإنسان، أيُّ إنسان؟ إنّه موضوع الفصل الأخير من جولتنا الكِتابيّة والآبائيّة.

---

(٤) سنُخصِّص الفصل العاشر كاملًا لدِراسة قضيّة الموت في عالمنا المُعاصر، وقد اكتفينا هُنا بالنظرة الكِتابيّة والآبائيّة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الرابع

وِراثةُ الزلّة، أي تضامن البشر في الخطيئة

المُقدِّمة

ثمّة قضيّتان لاهوتيّتان أنثروبولوجيّتان، وهُما **تضامن البشر في الخطيئة**، وهو ظاهرة واضحة المعالم، وقد سبق أن حلّلناها، فالسؤال هو: إلى أيِّ مدى يُمكن اعتبار الزلّة وراثيّة تتعلّق بذُرِّيّة آدم وحوّاء؟ ذلك ما سندرسه في هذا الفصل. ومن جهة أُخرى، هُناك قضيّة إيمانيّة تختصُّ **بتضامن البشر في الخلاص**، وإن لم تظهر كما يظهر التضامن في الخطيئة، ذلك بأنّ الخلاص قضيّة إيمانيّة بحتة. سنتناول دِراسة كلتا القضيّتين مُنفصلتين.

أوّلًا - تعليم بولس

كيف يُمكننا قِراءة تعليم بولس في شأن **علاقة الخطيئة بالبشريّة جمعاء**، وهي تتحمّل تفاسير مُختلفة؟ ثمّة قِراءات مُتباينة تتعلّق بالآية: «**لأنّهم** جميعًا خطئوا...» (روم ٥/ ١٢)[١]:

(١) ثمّة استثناء بشريٌّ واحد وحيد، وهو **مريم** التي لم ترتكب خطيئة، بالرغم من تأثيرها بحالة الفساد. وذلك معروف، في اللاهوت الكاثوليكيّ، بعقيدة=

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١ - «**بما أنّهم** أو **لأنّهم** (باليونانيّة: eph'ô) خطئوا جميعًا».

إنّ هذا المعنى هو الأنسب من ناحية قواعد اللغة اليونانيّة، كما أنّ نُصوصًا بولُسيّة أُخرى تؤيّده: ٢ قور ٥/ ٤، فل ٣/ ١٢، ٤/ ١٠... والمعنى المقصود هو، كما فهمه بعض الآباء الشرقيّين قديمًا والعديد من الكاثوليك والبروتستانت اليوم، أنّ الخطايا الشخصيّة (روم ٣/ ٢٢) مكّنت قُدرةَ الخطيئة (وقد أدخلها آدم) من أن تُثمر ثمر الموت، حتّى إنّه لو لم يُخطئ آدم، لَخطئ البشر. وهُناك **حالة «الفساد»** (Phtora)، وهُناك **أفعال الخطيئة**؛ وإنّ حالة الخطيئة هذه تُحرِّف الإرادة والوِجدان، وتُعتِّم العقل[٢].

٢ - «**فيه** [آدم] خطئوا جميعًا».

وهو المعنى الدارج، لا سِيّما وقد تبنّته - خطأً - الترجمة اللاتينيّة الشائعة (Vulgata)، ومنها الغرب؛ وعليه، توارثت الخطيئة مُنذ آدم (لا سِيّما لدى أوغسطينس عن طريق الشهوة في الإنجاب). فجميع البشر حاضرون في آدم، ذلك بأنّه فرد وفي الوقت نفسه «شامل عينيّ» (بالفرنسيّة: Universel concret، بحسب تعبير هيغِل) أي نُموذج يرمز إلى الجميع ويحويهم في ذاته، فكأنّه لم

=«**الحبَل بلا دنس**»، ومعناها أنّ الله أنعم عليها امتيازًا (مِثل آدم وحوّاء)، وقد تجاوبت معه (على خِلافهما). راجع، في هذا الصدد، الفصل الأخير من كِتابنا: **مَن أنتِ، أيّتها الكنيسة؟**

(٢) قبل جِدال أوغسطينس مع بيلاجيوس (الذي كان ينفي كون الخطيئة بسبب آدم، وكونها وراثيّة)، ميّز أوغسطينس بين '**الحالة**' (وهي أصل الفساد في الإرادة المُتّجهة أُنطولوجيًّا نحو الله والمُنحرفة وُجوديًّا) و'**الأفعال**' (وهي نتيجة الأصل الفاسد في الأفعال)، ما أدّى به، في ما بعد الجِدال، إلى مفهوم «الخطيئة الأصليّة» التي كان بيلاجيوس يُنكرها.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يعُد الأوّل الذي خطئ، بل الوحيد الذي خطئ، وفيه جميعُ البشر خطئوا. وبهذا المعنى، يُمكن القول بأنّ رِواية آدم وحوّاء لا تصف الماضي، بل وضع البشريّة الحاضر.

٣ - «**بسبب الموت** خطئوا جميعًا».

على كُلٍّ حال، ثمّة **علاقة تضامن** بين **معصية آدم/ خطايا كُلِّ إنسان الشخصيّة**، ولكن لا يُعالجها بولس. والجدير بالذِّكر أنّ بولس لا ينظر إلى آدم بصِفته فردًا فحسب، بل شخصًا يتضمّن البشريّة أيضًا، ما سمح له باعتبار آدم صورة المسيح، كما سنراه لاحقًا.

ثانيًا - تعليم الآباء الشرقيّين

إنّ وِراثة الخطيئة ناجمة عن أنّ **سُقوط آدم وحوّاء يشمل سُقوط البشريّة أجمعها**، تضامنًا من جميع البشر فيه (روم ٥/ ١٢)، واشتراكًا منهم في حالة الفساد والخطيئة، وقد سبق أن عبّر عنها داود:

«بالخطيئة ولدتني أُمّي»
(مز ٥١/ ٥).

فالبشريّة مُتضامنة في الخطيئة:

«إنّنا أعضاء بعضنا لبعض» (أف ٤/ ٢٥).

وكذلك، إنّها **مُتضامنة في الخلاص:**

«هُناك طريق واحد فقط للخلاص
وهو أن تجعل نفسك مسؤولًا عن خطايا الناس كُلِّها.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وحالما تجعل نفسك مسؤولًا بإخلاص كُلِّيّ
عن كُلِّ شيء، وتُجاه كُلِّ واحد
سوف ترى حالًا أنّ ذلك هو حقًّا هكذا»
(زوسيمُس).

ثالثًا - تعليم أوغسطينس

ليس **الكلام على «الخطيئة في الأصل»**[٣] أمرًا سهلًا، لأنّها تفوق الزمان والمكان، وهي حدثٌ روحيٌّ حيث إنّ الحُرِّيّة وضعت فاصلًا قاطعًا بين قصد الله عليها (البُعد الأُنطولوجيّ) ووضعها الواقعيّ (البُعد الوُجوديّ).

ثُمّ، إنّ هُناك بونًا شاسعًا بين **«الخطيئة في الأصل»** / **«الخطايا الشخصيّة»**: إنّ الخطيئة «في الأصل» تضع الإنسان في حالة من فُقدان صداقة الله، و تُظهر إخفاق عظمة دعوة الإنسان المخلوق على صورة الله، وتشويه تِلك الصورة واتِّجاهها نحو الله (Tendere)، بدون مسؤوليّة شخصيّة حُرّة. ليست الخطيئة في الأصل خطيئة بتمام معنى الكلمة، لأنّ الشخص لا يقترفها شخصيًّا بمحض إرادته وحُرِّيّته، بل يرثها؛ فضلًا عن أنّها **ميل إلى الخطيئة،**

---

(٣) نُفضِّل، مع العديد من اللاهوتيّين، عِبارة «الخطيئة في الأصل» (بالفِرنسيّة: Péché originaire) على «الخطيئة الأصليّة» (Péché originel). وينبغي الإشارة إلى أنّ لفظ «خطيئة» هُنا غير مُناسب، لأنّ الخطيئة تشترط **مسؤوليّة شخصيّة**، بيْد أنّ المقصود هنا **حالة عامّة**، لا خطيئة شخصيّة مسؤولة عمّا تقترفه. في كُلِّ ذلك، راجع في البيبْلِيوغرافيا كِتاب عزيز الحلّاق اليسوعيّ: **الخطيئة الأصليّة**. وسنعود إلى قضيّة وِراثة «خطيئة الأصل» في الفصل التاسع، عِند كلامنا اللاهوتيّ المُعاصر على «الخطيئة الأصليّة».

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

واستعداد نحوها، وحالة عامّة من الفساد، يتضامن فيها جميعُ البشر، ويتحقّق هذا فعلًا في الخطايا الشخصيّة. وإنّ ذلك الميل إلى الخطيئة، يعتبره بولس ويوحنّا والآباء الشرقيّون 'موتًا'.

الخاتمة

يرمز اتّجاه **تلميذي عمّاوس** إلى تِلك الخطيئة ضِدّ الله، ذلك بأنّهما تركا جماعة يسوع الساكنة شرقًا في أورشليم، واتّجها نحو البحر، وهو رمز الظلام والهاوية وقِوى الشرّ، رمزًا لليأس. إلّا أنّ الرفيق الغريب الذي التقاهما في صميم وضعهما اليائس البائس، مشى معهما في الاتّجاه الخاطئ، وقد سبق أن نزل من السماء وتجسّد بين البشر ليمشي معهم على دُروب الخطيئة، حتّى يُخلِّصهم منها، بل ولقد جعله الله خطيئة في سبيل ذلك. ما يُظهر تضامنه الكامل مع البشريّة الخاطئة، ليُخلِّصها من الخطيئة، فتعود إلى الاتّجاه السليم، نحو أورشليم، في الشرق، حيث جماعةُ يسوع التي تركاها، ثُمّ عادا إليها بعدما انفتحت أعينهما.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القِسم الثاني

العهد الخلاصيّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مُقدِّمة القِسم الثاني

«بالرغم من أنّنا لا نقدر
أن نتجنّب [الخطايا] بدون تدخُّل **إرادتنا**
إلّا أنّ الإرادة وحدها لا تكفي لبُلوغ ذلك»
(أوغسطينس، **الطبيعة والنِّعمة**، ١٨/ ٢٠).

إنّ مُقاومة الخطيئة هي أساسًا عمل الله في الإنسان:

«إنّ الله يشفينا
لا ليمحو الشرّ الذي اقترفناه فحسب
بل ليمنحنا
الوسيلة لعدم العودة إلى الخطيئة أيضًا»
(**المرجع السابق**، ٢٦/ ٢٩).

فالله هو الذي يُحرِّر ويُخلِّص الإنسان من عُبوديّة الخطيئة، ويدعوه إلى التجاوب معه في خلاص نفسه، إذ يُنعم عليه بنِعمته ليقطع معه عهدًا جديدًا. فلقد وعد الله شعبه المُختار بـ«**عهد جديد**» قوامُه «**مجيء المسيّا**» / «**انسكاب الروح**»[1]، ليكون شعبَه ويكون هو إلهَه. وذلك تحديدًا ما تحقّق بتجسُّد الله الكلمة في شخص يسوع المسيح وفِصحه، وبإرساله الروح القُدس ليُكمِّل عمله الخلاصيّ.

(١) راجع إر ٣١/ ٣١-٣٤؛ يوء ٢/ ١٨ ت؛ حِز ٣٦/ ٢٦ ت؛ أش٧/ ١٠-١٧، ٤٢/ ١-٩، ٤٤/ ٣، ٦٣/ ١٤، زك ٤/ ٦...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فما **الخلاص** من الخطيئة إلّا الوجه السالب، وأمّا **العهد** فهو الوجه الموجَب[٢].

من جِهة أُخرى، نتذكّر أنّ الله **الآب**، بحسب تشبيه إيريناوس، قد خلق الإنسان بيديه مِثل الخزّاف: **'الكلمة'** / **'الروح'**. أمّا الكلمة فيده الظاهرة، وأمّا الروح فيده المخفيّة. وبمقدورنا أن نصِف عمله الخلاصيّ بالمنطق عينه: لقد تمّ الخلاص بيسوع المسيح مرئيًّا بفضل تجسُّده وفِصحه، وبالروح القُدس باطنيًّا بسُكناه في الإنسان.

نذكر كلمة إيريناوس: **'التكيُّف'** أو **'التعوُّد'** مع البشر (باللاتينيّة: Accomodatio - بالفرنسيّة: Accoutumance)، فيسوع المسيح لم يكتفِ بأنّه أخذ جسدًا بشريًّا، بل تعلّم أن يكون إنسانًا بتمام معنى الكلمة، أن **يتأنسن**، وأن يتطبّع بالطِّباع البشريّة، وذلك في خِضمِّ حياته البشريّة وفي ديمومتها، وفي حميميّة علاقاته بالبشر. ويتكلّم إيريناوس على التكيُّف / التعوُّد هذا في ما يخصُّ الروح القُدس، فهو أيضًا، بحُلوله على البشر وسُكناه فيهم، قام بمِثل ذلك التكيُّف / التعوُّد.

إنّ هذا الازدواج يعيشه الإنسان بطريقتين مُتكاملتين: ففي ما يتعلّق **بشخص يسوع المسيح**، إنّ **البشر مُتضامنون** في العهد الخلاصيّ، كما ظهر لنا أنّهم مُتضامنون في الخلق وفي صورة الله وفي الزّلة. وأمّا في ما يختصُّ **بأُقنوم الروح القُدس**، فإنّه **يُشخِّص لكُلِّ مؤمن** ما تمّ من عهد خلاصيٍّ حقّقه يسوع المسيح.

---

(٢) لقد بنينا دِراستنا في الأسرارَ السبعة على مفهوم **العهد الخلاصيّ**. راجع الفصل الأوّل من كِتابنا **مدخل إلى الأسرار**.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وسيتضمّن هذا القِسم الثاني **فصلين**، يتناول الأوّل عمل يسوع المسيح، والثاني عمل الروح القُدس. وكِلا العملين يستدعيان تعاون الإنسان وتجاوبه، ذلك بأنّ الإنسان المخلوق بدون إرادته هو مُخلَّص بإرادته، كما قال أوغسطينس في صيغة اشتهرت عبر الأجيال.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الخامس

يسوع المسيح وتضامن البشر في العهد الخلاصيّ[1]

المُقدِّمة

تجدر الإشارة بادئ ذي بدء إلى أنّ الرِّسالة إلى أهل رومة، إذ تُظهر **تضامن البشريّة في الخطيئة والموت بسبب آدم**، تُركِّز على **تضامنها في النِّعمة بفضل المسيح** (روم ٥/ ١٥-٢٠)[2]. ولذا فإنّ بولس يُكثر من استعمال عِبارة «كم بالحريّ» التي تعني أولويّة النِّعمة على الخطيئة، فالكلمة الأُولى والأخيرة هي لآدم الجديد لا لآدم

(١) نعتمد أساسًا على المقالات الآتية من المجلّة البلجيكيّة *Nouvelle Revue Théologique*:

* Bernard Sesboüé sj, *Esquisse critique d'une théologie de la Rédemption*, 1984, Tome 106, pp. 801-816.
* Bernard Sesboüé sj, *Le Christ illuminateur: le salut par révélation*, 1988, Tome 110, pp. 351-370.
* Bernard Faivre sj., *Dynamique du péché et logique de l'amour dans la lettre de saint Paul aux Romains*, 2009, Tome 131, pp. 196-210.

(٢) بُناء على عمل يسوع المسيح الخلاصيّ هذا والذي يُدخل في عهد جديد أبديٍّ مع الله، **يُشخِّص الروحُ القُدس** ذلك العمل في الأشخاص، كما سنراه في الفصل القادم.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القديم، وللنِّعمة لا للخطيئة:

«حيث تكثر الخطيئة تفيض النِّعمة».

وإنّ **تشويه صورة** (Eikon) الله في الإنسان، **وانحراف اتِّجاهه** إليه تعالى (غريغوريوس النيصي: Epectasis؛ أوغسطينس: Tendere) حرّكا الله نحو الإنسان في **حركة انحداريّة**، ما جعل الإنسان يقتبلها ويتجاوب معها **بحركة ارتقائيّة** منه.

أوّلًا - ملحمة الله الانحداريّة

أمام فظاعة الخطيئة الهدّامة - كما رسمنا ملامحها - تدخَّل الله بعظيم رحمته ومحبّته للبشر:

العهد الخلاصيُّ في قصد الله

«ألعلّ هَواي في موت الشِّرّير؟ يقول السيِّد الربّ.
أليس في أن يتوب عن طُرقه **فيحيا**؟»
(حِز ١٨/ ٢٣، ٣٣/ ١١).

وقد أفضى ذلك به إلى أنّه

«أحبّ العالم حتّى إنّه جاد بابنه الوحيد
لكي لا يهلك كلُّ مَن يؤمن به
بل تكون له **الحياة الأبديّة**.
فإنّ الله لم يُرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم
بل **ليُخلِّص** به العالم»
(يو ٣/ ١٦-١٧).

وذلك ما صرّح به يسوع:

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«أتيتُ لتكون **الحياة للناس وتفيض فيهم**»
(يو ١٠/ ١٠).

هكذا، فالخلاص مُرتبط بالحياة، حياة الله للإنسان، بمقدار ما الخطيئة استوجبت موت الإنسان، أكان الموت الجسديّ أم الروحيّ. وتِلك الحياة تفيض حياة أبديّة.

ويتّسم **منطق حُبِّ الله** بمجّانيّته وبتضامنه مع البشر:

«بُرِّروا **مجّانًا** بنعمة [الله]
بحُكم الفِداء الذي تمّ في المسيح يسوع»
(روم ٣/ ٢٤).

ولقد تحقّق ذلك **بتعاليم** يسوع التي أعلنت اللهَ للإنسان من جِهة، و**بسِرِّ فصحه** الذي صالح الإنسانَ مع الله ومع أخيه الإنسان ومع ذاته، وبرّره وقدّسه من جِهة أُخرى. ذلك هو «منطق يسوع» (بول ريكور).

العهد الخلاصيُّ في تعليم يسوع

لقد أعلن يسوع مَن هو الله، «الله محبّة» (١ يو ٤/ ٨)، وهو «آب وابن وروح»:

١ - إعلانه الآبَ

إنّ العلاقة بالله الآب تتضمّن الحُبّ والمعرفة معًا. وقد تجسّد الله الابن ليُعلن للإنسان مَن هو الله، فذلك هدف التجسُّد وحياةِ يسوع الأرضيّة، ما يُتيح **للبشر فُرصةَ معرفةِ الله معرفة حقيقيّة**:

«الحياة الأبديّة هي أن يعرفوك
أنت الإله الحقّ وحدك
ويعرفوا الذي أرسلتَه، يسوع المسيح»
(يو ١٧/ ٣).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وإن أعلن يسوع الآب، فلأنّه هو «الحقّ» (يو ١٤/ ٦)، و«يعرف» وحده الآب حقّ المعرفة لأنّه في حِضنه الأبويّ (يو ١/ ١٨، ٨/ ٢٨)، ويُعلنه لمَن يشاء (متّى ١١/ ٢٧).

وليست تِلك المعرفة نظريّة، بل هي **معرفة اختباريّة، مقرونه بالحُبّ**. فهي تعتمد على العلاقة الشخصيّة به، أو، بلُغة يوحنّا، على «النظر» إليه مصلوبًا مطعونًا (يو ١٩/ ٣٧)؛ وأمّا الحياة الأبديّة، فقد عبّر عنها بولس بعِبارة «وجهًا لوجه»، حيث «سأعرف مِثلما أنا معروف» (١ قور ١٣/ ١٢)، تِلك المعرفة المبنيّة أساسًا على الحُبّ المُتبادل (١ قور ٨/ ٣).

٢ - إعلانه الابنَ الإلهَ/الإنسان

إنّ جميع أسفار العهد الجديد تُعلن مَن هو يسوع المسيح، ولا سِيّما في **علاقته الفريدة بالآب** كما أظهره لإنجيليُّ يوحنّا الذي أعلن أنّه «الابن» و«الكلمة» و«الطريق والحقُّ والحياة»؛ كما أنّه «صورة الله الذي لا يُرى» (قول ١/ ١٥ //)، و«رئيس الكهنة» و«الوسيط» بين الله والبشر (عِب)، و«المسيح» و«الربّ» و«الديّان» (رُسل). . .

كما أنّ جميع الكُتّاب المُلهَمين أعلنوا **إنسانيّته**، فهو «الإنسان» كما قاله بيلاطس، و«الملك» و«العريس» و«نور العالم» و«خُبز الحياة» (يو)، كما أنّه «الأخ البِكر لإخوة كثيرين» (روم ٨/ ٢٩). . . وهو «مِثلنا في كُلِّ شيء ما عدا الخطيئة» (عِب ٤/ ١٥)، وقد «تسامى في الحِكمة والقامة والحُظوة عند الله والناس» (لو ٢/ ٥٢، ٤٠)، وهو «وديع ومُتواضع القلب»، داعيًا إلى الاقتداء به (متّى ١١/ ٢٩-٣٠)، لا بمعنى اتِّخاذه مثلًا أعلى فحسب (كما ادّعاه بيلاجيوس في القرن الخامس)، بل التمثُّل به والتطابق معه بنعمته تعالى أيضًا،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والاشتراك في مصيره حتّى الألم وحمل الصليب والموت مِثله (مر ٨/ ٣٤ //)...

وقد عاش يسوع حياته كُلّها مُتضامنًا مع البشر، لا سِيّما **بمعموديّته**، تِلك التي كان مُشتاق إلى أن يقبلها (لو ١٢/ ٥٠)، والتي يدعو تلميذيه، ابني زبدى، إلى أن يتقبّلاها (مر ١٠/ ٣٩). وتتضمّن المعموديّة (التي عاشها فيحياها المؤمنون به) حركتين مُتكاملتين:

* حركة **التغطيس في الماء**، ما يرمز إلى تضامن المسيح الكامل مع البشريّة الخاطئة التي تستوجب الموت، فيتضامن مع خطيئة الإنسان، إذ إنّ

«ذاك الذي لم يعرف الخطيئة
جعله الله خطيئة من أجلنا
كي نصير برّ الله»
(٢ قور ٥/ ٢١).

فهكذا أدّى تضامن المسيح مع البشريّة الخاطئة المائتة إلى أنّه صَلب الخطيئة، وكسر شوكة الموت، وانتصر على الموت بموته.

* وحركة **الصُّعود من الماء**، ما يرمز إلى التطهير والتجديد بفضل قِيامة المسيح:

«بموته قد مات عن الخطيئة مرّة واحدة
وفي حياته يحيا لله.
فكذلك احسبوا أنتم أنّكم أموات عن الخطيئة
أحياء لله في يسوع المسيح»
(روم ٦/ ٦، ١٠-١١).

وأمّا **'تكيُّفه' بالوضع البشريّ** وتعوُّده عليه، وتطبُّعه به،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وتأنْسُنه، فحتّى إنّ الإنسان بدوره «يتكيّف» به، ويتعوّد عليه، ويتطبّع به، ويتألّه. وذلك حتّى وهو في السماء عن يمين الآب، إذ لم يفقد إنسانيّته، حتّى يُتيح للإنسان أن يتألّه.

إنّ جميع تعاليم يسوع وجميع أعماله آلت إلى **عهده الخلاصيّ**، بصفته إلهًا كاملًا - والله وحده يُخلِّص الإنسان ويُدخله في عهده - وإنسانًا كاملًا - تضامَن مع البشريّة كُلّ التضامن -.

٣ - إعلانه الروح القُدس

نُخصِّص الفصل القادم للكلام عليه.

العهد الخلاصيُّ بسِرِّ فِصح يسوع المسيح

«لا يكاد يموت أحد من أجل امرئ بارّ
ورُبّما جرؤ أحد أن يموت من أجل امرئ صالح.
أمّا الله فقد دلّ على محبّته لنا
بأنّ **المسيح قد مات من أجلنا إذ كُنّا خاطئين**»
(روم ٥/ ٧-٨).

فموت المسيح هذا بذلٌ مجّانيٌّ منه، وقد

«أحبّ خاصّته الذين في العالم
فبلغ به الحبُّ لهم إلى أقصى حُدوده»
(يو ١٣/ ١).

وقد **بذل الآبُ ابنه**، لا بالتجسُّد فحسب، بل

«لم يضنّ بابنه نفسِه
بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعًا»
(روم ٨/ ٣٢).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هكذا فإنّ الآب قبِل أن يقتل البشرُ ابنه، مُدخلًا إرادتهم الشِّرّيرة في قصده الإلهيّ، حُبًّا منه للبشر[٣]. وبمعنى آخر، إنّ الله قد حوّل الموت بسبب شرِّ البشر، إلى خير البشر، بإقامته يسوعَ من بين الأموات. فهُناك إذًا تحوُّلٌ مِن «**بسبب** خطايا البشر» (أي مصدر الموت) إلى «**مِن أجل** خطاياهم» (أي غاية الموت)، كما وضّحه أوغسطينس في شرحه رسائل بولس (في **الثالوث**، ١٣/ ١١/ ٥).

ويسوع، من جهته، **قبِل مشيئة الآب** (مر ١٤/ ٣٦//، عِب ٥/ ٨)، بل وإرادة البشر الشِّرّيرة، فدمجهما تمامًا في سرِّ حُرِّيّته البنويّة وتكيُّفه مع البشريّة إلى أقصى حُدودها أي إلى الموت مِثلهم موتًا عنيفًا ظالمًا:

«إنّ أبي يُحبُّني
لأنّي أبذل نفسي لأنالها ثانية.
ما مِن أحد ينتزعها منّي
بل أبذلها برضاي. فلي أن أبذلها
ولي أن أنالها ثانية»
(يو ١٠/ ١٧-١٨).

سِرُّ فِصح يسوع المسيح بين التبرير والقداسة والمُصالحة

إنّ **ثمر موت / قيامة المسيح «تبرير» الإنسان**، لا بمعنى أنّه ينال جزاءَ أعماله الصالحة أو يستوجب عِقابًا بسبب أعماله الشِّرِّيرة، بل ثمرة التبرير تمنحه نِعمةُ أن

(٣) ثمّة تقليدان، أحدهما: «يجب أن» و«بحسب الكُتب»، وهو يُظهر مشيئة الآب هذه. والثاني يُظهر يسوع الذي يبذل ذاته بمحض حُرِّيّته (أُنظر إلى أسفل).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«يحيا حياة جديدة»
(روم ٦/ ٤)

وأن

«يلبس الإنسانَ الجديد
الذي خُلق على صورة الله في البِرِّ والقداسة»
(أف ٤/ ٢٤ // ، يو ٣/ ٣).

فعلى الصليب، غفر يسوع للإنسان، فكسر شوكة الخطيئة سببِ الصلب، وحوّل بشاعة الخطيئة إلى بهاء العهد الخلاصيّ، واستبدل شجرة الموت بشجرة الحياة، وبدّل عار الصليب إلى مجد كما فهمه يوحنّا الإنجيليّ، لذا

«فمن فيض نِعمته
نِلنا نِعمة على نِعمة»
(يو ١/ ١٦).

وبتعبير آخر، إنّ موت المسيح يمنح **المُصالحة مع الله**:

«صالحنا الله بموت ابنه. . .»
(روم ٥/ ١٠-١١، ٢ قور ٥/ ١٨-٢١، قول ١/ ١٩-٢٢).

وتِلك المُصالحة تمتدُّ إلى **المُصالحة بين البشر**:

«ليخلق في شخصه من هاتين الجماعتين
بعدما حلّ السلامُ بينهما، إنسانًا جديدًا واحدًا»
(أف ٢/ ١٥-١٦).

وقد أتى إلى العالم

«ليجمع شمل أولاد الله المُشتّتين»
(يو ١١/ ٥١-٥٢).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هكذا **حوّل الله وضع الإنسان**، إذ لم يُبادل اللهُ شرّ الإنسان بالشرّ، وإنّما بفيض الخير، لا بل **حوّل شرّ الإنسان** ضِدّه - في مُحاكمته وجلده وآلامه وصلبه وموته - إلى **أداة للخلاص**، لإعادة **العهد** معه، ولمنح حياته، تعبيرًا عن حُبِّه له إلى المُنتهى.

ثانيًا - تجاوب الإنسان تجاوبًا ارتقائيًّا

فيما الإنسان هو '**مفعول به**' في الخطيئة والموت، إذ يتحمّلهما لأنّهما مفروضان عليه بدون أن يختارهما، إلّا أنّه '**فاعل**' في العهد الخلاصيّ، يتجاوب مع مُبادرة الله الخلاصيّة، ويشترك معه فيها، وقد قال أوغسطينس في هذا الشأن:

«إن كان الله خلقنا بدون إرادتنا
إلّا أنّه لا يُخلِّصنا إلّا بإرادتنا».

فللإنسان دور فعّال حُرٌّ في خلاص الإنسان، كما يشاء الله. ذلك ما ردّده التقليد الكنسيُّ مُنذ أوغسطينس إلى اليوم، مُرورًا بتوما الأكوينيّ، ولوثر (المُعتمد أساسًا على أوغسطينس، مع نبرة مُتشدِّدة بشأن انحراف الإنسان)، والمجمع التِّريدانْتينيّ (ردًّا على اللوثريّة، حيث التبادل بين الله المُبادِر والمانح حياته، وبين الإنسان المُتقبِّل تقبُّلًا مُتزمِّنًا إيجابيًّا)...، مع نبرات مُختلفة من واحد إلى آخر.

ويتمثّل دور الإنسان **بعِدّة جوانب** نذكر أهمّها باختصار:

التوبة والاهتداء

هي الخطوة الأُولى من تجاوب الإنسان مع دعوة الله إلى العهد

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخلاصيّ. فقد استهلّ يسوع رِسالته العلنيّة **بالدعوة إلى التوبة والاهتداء**:

«توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات»
(متّى ٣/ ١٧).

كما أنّه طالب نيقوديمُس **بالوِلادة الثانية التي هي من فوق ومُستديمة** (يو ٣/ ٣)[٤]. فهُناك «الوِلادة من الله» (يو ٣/ ٣) / «الوِلادة من رغبة لحم ورغبة رجل» (يو ١/ ١٣). وبلُغة بولس، هُناك «**الإنسان القديم**» قبل الاهتداء / «**الإنسان الجديد**» و«**الخلق الجديد**»، و«**الحياة الجديدة**» مع المسيح (روم ٦/ ٤). وليس المطلوب تقدُّمًا روحيًّا، بل تغيير جذريّ، لأنّ الأزمنة الأخيرة قد حلّت، يليه الجِهادُ الروحيُّ اليوميُّ في خِضمِّ الحياة، بتقدُّمه وتأخُّره، وبنجاحه وفشله.

ولقد ردّد آباء الكنيسة الدعوة الإنجيليّة إلى التوبة. فها إنّ يوستينُس يضع تضادًّا واضحًا بين «حِكمة» المسيحيّين / «مُجونهم» الحياتيّ والأخلاقيّ قبل اهتدائهم (**الدِّفاع**، ١/ ١٤/ ٢-٣). وأمّا أكليمندُس الإسكندريّ، فيُصرِّح أنّ المسيحيّين «هُم في الجسد» (باليونانيّة: en sarki) / لا يعيشون «بحسب الجسد» (kata sarka) (**المُربّي**، ٣/ ٨/ ١). ويستنتج صاحب الرِّسالة إلى ديوغْنيتُس من كُلِّ ذلك:

---

(٤) يعني اللفظ اليونانيُّ Anôthen معنيين: وِلادة من فوق، أي من الله؛ ووِلادة ثانية، أي غير الوِلادة البشريّة الأُولى. ثُمّ إنّ الفِعل اليونانيّ المُستعمَل هو في صيغة 'الماضي المُستمرّ'، أي فِعل يدوم مدى الحياة. أُنظر إلى التفاصيل في الفصل القادم.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«ما تُمثِّله النفس للجسد
يُمثِّله المسيحيّون للعالم»
(**إلى ديوغْنيتُس**، ٦/ ١).

الإيمان والمعموديّة

من مُنطلق اهتداء الإنسان، **يعترف بخطيئته وضعفه** أوّلًا، ثُمّ **يتقبّل مجّانيّة حُبِّ الله**. ويتحقّق **تجاوب الإنسان هذا عن طريق إيمانه**:

«الإنسان يُبرَّر بالإيمان بمعزل عن أعمال الشريعة»
(روم ٣/ ٢٨).

والإيمان يؤدّي إلى **المعموديّة** حيث الموت مع المسيح والقِيامة معه:

«إذ اعتمدنا جميعًا في يسوع المسيح
إنّما اعتمدنا في(٥) موته
فدُفنّا معه في موته بالمعموديّة
لنحيا نحن أيضًا حياة جديدة
[. . .].
ونحن نعلم أنّ إنساننا القديم قد صُلب معه
ليزول هذا البشر الخاطئ

(٥) يقول النصّ اليونانيُّ إنّ المعموديّة هي «نحو» (eis) موته (لا «في» موته). نتذكّر أنّ الإنسان هو أصلًا مُتجِّه «نحو» الله (غريغوريوس النيصيّ: Epectasis - أوغسطينس: Tendere). وأمّا الخطيئة، فقد حرّفت ذلك الاتِّجاه؛ ومن ثمّ، فإنّ الإيمان هو «نحو» الله (يُقال باليونانيّة: «نؤمن نحو إله واحد. . .»)؛ وكذلك المعموديّة، المبنيّة على الاهتداء، هي استرجاع اتِّجاه الإنسان «نحو» الله، بعد أن انحرف عنه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فلا نظلّ عبيدًا للخطيئة
لأنّ الذي مات تحرّر من الخطيئة.
فإن كُنّا قد مُتنا مع المسيح
فإنّنا نؤمن بأنّنا سنحيا معه»
(روم ٦/ ٤-١١).

التبرير والمحبّة

وينجم عن ذلك التقبُّل، مِلءُ **التبرير** المُتمثِّل بالسلام مع الله، فنيل الروح وهو مِلء الحياة و**المحبّة**:

«لمّا بُرِّرنا بالإيمان
حصلنا على السلام مع الله بربِّنا يسوع المسيح.
[...]
محبّة الله أُفيضت في قُلوبنا بالروح القُدس الذي وُهب لنا»
(روم ٥/ ١-٥).

وإنّ تِلك المحبّة المُنسكبة في القُلوب تُترجَم في الحياة الأخويّة بمحبّة البشر (روم ١٣/ ٩-١٠، ١٥/ ٧)، وقد أصبح الإنسان قادرًا على أن يحيا شخصيًّا حياةَ الله، وجماعيًّا محبّته، فيُحبُّ البشرَ محبّة هي الأُخرى مجّانيّة مُتضامنة مُتبادلة. فيشهد هكذا على محبّة المسيح للبشر، لجميع البشر.

هكذا **يدخل الإنسان في منطق حُبِّ الله** المجّانيِّ، المُتضامن معه. إنّ الله يأتي إلى الإنسان، والإنسان يهتدي إلى الله. ويُلخِّص باسْكال اللاهوتيُّ الروحانيُّ تجاوبَ الإنسان هذا في قوله:

«إنّ اعترافنا بالله بدون اعترافنا ببُؤسنا
يؤدّي بِنا إلى الكِبرياء.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وإنّ اعترافنا ببؤسنا بدون اعترافنا بالله
يؤدّي بِنا إلى اليأس.
إنّ اعترافنا بيسوع المسيح يضعنا في الوسط
لأنّنا نجد فيه الله وبؤسنا
ذلك بأنّ يسوع المسيح إله نقترب مِنه بدون كِبرياء
ونتواضع أمامه بدون يأس».
(باسْكال، **خواطر**، ٥٢٧-٥٢٨).

الخاتمة

ثمّة تساؤل لاهوتيّ: **لو لم يُخطئ الإنسان، أتوجّب التجسُّد والخلاص؟** إنّ هذه القضيّة اللاهوتيّة مفتوحة، ولم تبتّ الكنيسة فيها نِهائيًّا. وقد تكمن الإجابة في أنّ التجسُّد والخلاص تستدعيهما نِهائيّةُ الإنسان العاجزة عن بُلوغ الله، المقرونةُ بلا نِهائيّته التي تصبو نحو الله، وفي أنّ الله وحده بوُسعه أن يروي عطش الإنسان ورغبته الدفينة:

«خلقتَنا نحوك، يا الله
وقلبُنا لن يرتاح إلّا فيك»
(أوغسطينس، **الاعترافات**، ١/ ١/ ١).

«سترتاح فينا، كما أنّك تعمل اليوم فينا
وستُصبح تِلك الراحةُ راحتك من خِلالنا
كما أنّ هذا العمل عملُك من خِلالنا»
(١٣ / ٣٧، ٥٢).

بهذين القولين، يفتتح ويختتم أوغسطينس اعترافاته، فإنّما الله المنبع والنِّهاية مُطلقًا.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل السادس

الروح القُدس وتضامن البشر في العهد الخلاصيّ[1]

المُقدِّمة

يكمن عمل الروح القُدس الخلاصيُّ في أنّه يجعل **خلاص يسوع المسيح الشامل** خلاصًا **شخصيًّا**. فالعهد الخلاصيُّ الذي حقّقه يسوع المسيح مُنذ ألفي سنة يُصبح عهدًا خلاصيًا هُنا / الآن، في تِلك الكنيسة («يقول الروح للكنائس السبع...»: رؤ ٢-٣)، ولذلك الشخص («من الخير لكم أن أذهب، فإن كُنتُ لا أذهب لن يأتكم البراقليط. أمّا إذا ذهبتُ فأُرسله إليكم»: يو ١٦/٧). وذلك إذ قال يسوع لتلاميذه عِندما وعد به:

«لا يتكلّم من عِنده، بل يتكلّم بما يسمع.

---

(١) نعتمد أساسًا في هذا الفصل على ما توصّلنا إليه في:

* المُقاربة الخامسة من **سِرّ الله الثالوث - الأحد** (حيث الكلام على **شخصيّة الروح القُدس**).
* الفصل الرابع مِن **مَن أنتِ، أيّتها الكنيسة؟** (حيث الكلام على **نشأة رِسالة الكنيسة**).
* الفصل الثالث من **مدخل إلى الأسرار** (حيث الكلام على **انسكاب الروح**، وعلى **العهد الخلاصيّ**).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

[. . .]
إنّه يأخذ مِمّا لي. . . ويُخبركم به»
(يو ١٦/ ١٣-١٥).

هكذا هُناك فِعلًا عهد خلاصيٌّ واحد يُريده الآب ويُحقِّقه علنيًّا بيسوع المسيح (يده المرئيّة) وباطنيًّا بالروح القُدس (يده المخفيّة) الذي يعتمد على يسوع المسيح، وكُلٌّ من الأقانيم الثلاثة يقوم بالعهد الخلاصيِّ هذا بشخصيّته المُميَّزة.

وقد استحقّ يسوع المسيح، بفضل سِرِّ فِصحه المجيد، إرسال الروح القُدس، ونيل الكنيسة والمؤمنين إيّاه. ويختبره المؤمنون اختبارًا شخصيًّا إذ أصبحوا «هياكل» له (١ قور ٣/ ١٦-١٧، ٦/ ١٩- ٢٠).

في ضوء كُلِّ ذلك، لنتحرَّ عن الروح على ثلاثة أصعدة مُتكاملة: الرغبة فيه / عمله في الأشخاص / عمله في الكنيسة. فإنّه موضوع **وعد** في العهد القديم والجديد / وهو **يعمل في اهتداء الشخص الخاطئ** ليُعلن بل ويُحقِّق له عهد يسوع المسيح الخلاصيّ؛ ثُمّ نخطو خطوة أعمق، وهي التي تجعل **الخاطئ المُبرَّر المُخلّص ينمو** في حياته المسيحيّة. / وعلى الصعيد الكنسيِّ إنّه **يقود الكنيسة ويُخاطبها، عاملًا فيها بالمواهب وبالأسرار**[٢].

(٢) لمعرفة **شخصيّة الروح القُدس**، لا بُدّ من الإشارة إلى أنّه:
أ - **روح الحياة** («نؤمن بالروح القدُس، الربِّ المُحيي»): يظهر ذلك في البِدايات والوِلادات:
* **الخلق**: «روح الله يرفُّ على وجه المياه» (تك ١/ ٢).
* **الموت / الحياة**: العِظام اليابسة التي يُحييها روح الله: «تنبّأْ للروح [. . .]: هلُمّا، أيُّها الروح، من الرِّياح الأربع، وهُبَّ في هؤلاء=

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

=الموتى فيحيوا'.» (حز ٣٧) - «تحجُب وجهك فيرتاعون. تسحب أرواحهم فيموتون وإلى تُرابهم يعودون. تُرسل روحك فيُخلَقون، وتُجدِّد وجه الأرض» (مز ١٠٤/ ٢٩-٣٠).

* **التجسُّد**: «الروح القدس يحلُّ عليكِ وقُدرة العليّ تُظلِّلكِ» (لو ١/ ٣٥).

* **بداية رسالة يسوع العلنيّة**: في المعموديّة: «حلّ عليه الروح القُدس في صورة جِسم كأنّه حمامة» (لو ٣/ ٢٢) - في التجارب: «وهو مُمتلئ من الروح القُدس، فقاده الروح إلى البرّيّة، أربعين يومًا، ليُجرِّبه إبليس» (لو ٤/ ١-٢) - في مجمع الناصرة: «روح الربِّ عليّ لأنّه مسحني لأُبشِّر...» (لو ٤/ ١٨-١٩).

* **وِلادة الكنيسة عِند الصليب**: عِندما «أسلم الروح»، نشأت الكنيسة من جنبه المطعون (مِثل حوّاء من ضلع آدم)، وهي مُتمثِّلة بالأسرار (مرموزةً في «دم» الإفخارستيّا كما في عُرس قانا الجليل: يو٢، وفي مَثل الكرمة: يو ١٥ - ومرموزةً في «ماء» المعموديّة كما في الحِوار مع نيقوديمس: يو ٣)، وفي مريم والتلميذ الحبيب (يو ١٩/ ٣١-٣٤).

* **العنصرة**: نشأة رسالة الكنيسة (رُسل ٢).

ب - **روح العلاقة بالمحبّة**: «الله أفاض محبّته في قلوبنا بالروح القُدس الذي وهبه لنا» (روم ٥/ ٥):

* بين **الآب / الابن**: روح الآب والابن (لا مِثل الإنسان الذي له روحه الفريد).

* بين **الإنسان / الآب**: الروح «يجعلكم أبناء الله وبه يصرخ إلى الله: 'أبّا، أيُّها الآب'. هذا الروح يشهد مع أرواحنا أنّنا أبناء الله» (روم ٨/ ١٢-١٧) - «الدليل على أنّكم أبناؤه هو أنّه أرسل روح ابنه إلى قلوبنا هاتفًا: 'أبّا، أيُّها الآب'. فما أنت بعد الآن عبدًا، بل ابن، وإن كنتَ ابنًا فأنت وارث بفضل الله» (غل ٤/ ٣-٦).

* بين **الإنسان / يسوع المسيح**: «مَن لا يكون له روح المسيح، فما هو من المسيح. [...] شُركاء المسيح في الميراث، نُشاركه في آلامه لنُشاركه في مجده» (روم ٨/ ٩) - الروح يجعلنا «شُركاء المسيح في الميراث لأنّنا إذا شاركناه في آلامه، نُشاركه في مجده» (روم ٨/ ١٧) - «لا يستطيع أحد أن يقول: 'يسوع ربّ'، إلّا بإلهام من الروح=

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أوّلًا - الرغبة في الروح القُدس

إنّ رغبة المؤمنين في الروح القُدس **تَضافُرُ ثلاثة أقطاب**: **وعد الله** بانسكاب روحه[٣] - **اشتياق الكنيسة الأُولى** إلى الروح القُدس - سُكنى الروح في **تلاميذ يسوع**.

وعد الله بعهد جديد

لقد وعد الله شعبه **عهدًا جديدًا روحيًّا**، لا أرضيًّا مِثل الوعد الأوّل (ذُرِّيّة / أرض). ويتضمّن ذلك العهد الجديد الأبديُّ حدَثين، كما رأينا: **مجيء المسيح / انسكاب الروح**[٤].

=القُدس» (١ قور ١٢/ ٣) - «روح الحقّ [. . .] يشهد لي، وأنتم أيضًا ستشهدون لي لأنّكم مُنذ البدء معي» (يو ١٥/ ٢٦-٢٧) - يجذب التلاميذ نحو يسوع، والتلميذَ الحبيبَ إلى أن يضع رأسه على صدر يسوع (يو ١٣/ ٢٣-٢٥، ٢١/ ٢٠).

* بين **الإنسان / الإنسان**: يجذب الإنسان نحو حبيبه، ورفيقه، وقريبه، وصديقه، وأهله، وعدوّه، والغريب، والمُعوزّ. . . - ويجعله يشعر به وباحتياجه فيخدمه (مثلًا السامريُّ الصالح: لو ١٠/ ٣٣-٣٥)، ويُضحّي في سبيله، من دون أن يُغلق عنه «أحشاءه» (١ يو ٣/ ١٦-١٧).

* **في داخل الإنسان**: «الروح يفحص كُلّ شيء حتّى أعماق الله. فمَن هو الذي يعرف ما في الإنسان غير الروح الذي في الإنسان؟» (١ قور ٢/ ٩-١٢).

(٣) في العهد القديم، يعني «الروح»، «روح الله»، «الروح القُدس»: **'قُوّة' الله**، ولم يتوقّع أحد أن يكون أُقنومًا إلهيًّا، كما أنّ أحدًا لم يتوقّع أن يكون المسيحُ ابنَ الله. فوُعود الله فيّاضة دائمًا، تفوق دومًا توقُّعات البشر بجميع المقاييس.

(٤) في انسكاب الروح، راجع إرميا ٣١/ ٣١-٣٤؛ يوئيل ٢/ ٢٨ ت؛ حِزقيال ٣٦/ ٢٦ ت؛ أشعيا ٤٢/ ١-٩، ٤٤/ ٣، ٦١/ ١-٩، ٦٣/ ١٤؛ زكريّا ٤/ ٦. . . ؛

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولقد تحقّق **مجيء المسيّا** في شخص يسوع الناصريّ («وجدنا المسيّا»: يو ١/ ٤١، ٤٥) الذي استحقّ **انسكاب الروح** الموعود - في كِلا العهدين -، بفضل سِرِّ فِصحه، لا سِيّما وهو على الصليب، وقد «أسلم الروح» المرموز في «الماء» الذي انبثق من جنبه المطعون (يو ١٩/ ٣٠، ٣٤)[٥].

انتظار الكنيسةِ الأُولى الروحَ بالصلاة حول مريم

في نشأة حياة الكنيسة الأُولى ورِسالتها، نقرأ الآتي:

«كانوا يواظبون كُلُّهم على الصلاة بقلب واحد
مع بعض النِّساء ومريم أمِّ يسوع وإخوته»
(رُسل ١/ ١٤).

يدلُّ هذا الكلام على أنّ الجماعة المسيحيّة الأُولى كانت تنتظر فِعلًا فيض الروح القُدس، تجاوبًا منها على وُعود الأنبياء ووُعود يسوع.

سُكنى الروح في تلاميذ يسوع

عِندما وعد يسوع تلاميذه بإرسال روحه، في خُطبة الوِداع (يو ١٤-١٦)، أشار إلى الروح الذي

---

(٥) جدير بالإشارة أنّ الأناجيل الإزائيّة استعملت عِبارة «**لفظ الروح**»، أي مات، في حين أنّ يوحنّا استعمل عِبارة «**أسلم الروح**» الذي يتضمّن حدَثين: لفْظَ الروح (أي الموت) الذي استحقّ منْحَ الروح القُدس. فلقد آمن يوحنّا بأنّ سِرّ فِصح يسوع يمنح الروح وهو مُعلّق على الصليب. إنّ نظرته هذه لاهوتيّة روحيّة أوحاها إليه الروحُ القُدس نفسه.
وأمّا «**الماء**»، فيرمز، في إنجيل يوحنّا، إلى الروح القُدس، كما سبق أن أشرنا إليه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«يُقيم معكم ويكون فيكم»
(يو ١٤/ ١٧).

هكذا فلوعد الله (القُطب الأوّل) ولرغبة الكنيسة (القُطب الثاني) صدى في أعماق المؤمن (هذا القُطب الثالث) الذي ينساق في داخل تيّار من وُعود الله ومن اشتياق الكنيسة، فلا ينفرد في نيل الروح، بل ينخرط في ما هو أبعد منه ويشمله.

ومِمّا يُذكر أنّ مُجمل الآباء الشرقيّين شدّدوا على **'سُكنى' الروح** التي يختبرها المُعمَّدون ويعرفونها، وذلك في حميميّة العلاقة به وباطِنيّتها. وأمّا مُجمل الآباء الغربيّين، فشدّدوا على **'عمل' الروح** في داخل المؤمنين وفي خارجهم[٦].

ثانيًا - عمل الروح في اهتداء الخاطئ

كما أنّ الروح حاضر وعامل في البِدايات والوِلادات، كذلك فهو حاضر وعامل في **خطوات المؤمنين الأُولى**، عِندما يهتدون إلى حياة جديدة بنويّة تُجاه الآب، وأخويّة تُجاه يسوع المسيح. ولنتجوّل في الكِتاب المُقدَّس فنستشفّ منه أهمّ تعابير الاهتداء الذي يؤدّي بهم إلى العهد الخلاصيّ، نِعمةً مجّانيّة منه تعالى، وتجاوبًا منهم معه.

التحرُّر

إنّ الروح ينقل التائب **من** شريعة الجسد والخطيئة والموت **إلى**

(٦) وذلك على خِلاف غير المؤمنين الذين لا يعرفون الروح ولا يختبرونه، ما لا يمنعه من أن **'يعمل'** - ولا **'يسكن'** - فيهم.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

شريعة الروح والحُرِّيّة والحياة:

«شريعة الروح الذي يهب لنا الحياة في المسيح يسوع
حرّرتْك من شريعة الخطيئة والموت. [...]
الاهتمام بالروح حياة وسلام. [...]
الروح حياة لكم لأنّ الله برّركم. [...]
يبعث الحياة في أجسادكم الفانية
بروحه الذي يسكن فيكم»
(روم ٨/ ١-١٧).

فما من اهتداء إلّا بعمل الروح الذي يجعل المؤمن يندم على حياته الماضية، وتصرُّفات «إنسانه القديم»، ليحيا حياة «الإنسان الجديد»، وليُصبح «خليقة جديدة»، على حسب تعابير بولس.

التطهير

لقد اشتهرت توبة **الملك داود** الذي طلب إلى الربِّ قلبًا طاهرًا عفيفًا مُستقيمًا:

«قلبًا نقيًّا أُخلق فيّ، يا الله
وروحًا ثابتًا جدِّد في باطني.
من أمام وجهك لا تطرحني
وروحك القُدُّوس لا تنزعه مِنّي.
أُرْدُد لي سُرورَ خلاصك
فيؤيِّدَني روحٌ كريم»
(مز ٥١).

فلذا لا يزال المؤمنون يُردِّدون ذلك المزمور بلجاجة من عُمق قلبهم، وبثِقة بعظيم رحمة الله.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ولتِلك الصلاة صدى لدى **بولس**:

«أُهربوا من الزِّنى. [...]
أوما تعلمون أنّ أجسادكم هي **هيكل الروح القُدس**
وهو فيكم قد نِلتموه من الله
وأنّكم لستم لأنفسكم؟»
(١ قور ٦/ ١٨-١٩).

فالروح هو الذي يُطهِّر القلب الذي يسكن فيه(٧).

هذا ولقد خصّ يسوع **تطويبة** في الطهارة والاستقامة:

«طُوبى لأطهار القُلوب
فإنّهم يُشاهدون الله»
(متّى ٥/ ٨).

فبقدر ما القلب هو مصدر تصرُّفات الإنسان وأفكارِه ومشاعرِه، وذلك في العقليّة اليهوديّة، إنّ قلبه الطاهر المُستقيم هذا يضعه على طريق مُشاهدة الله، وهي مُبتغاه المُطلق.

التجديد

لقد دعا يسوع نيقوديمس إلى «**الوِلادة الثانية / من فوق**» و**وِلادة مُستديمة**، وذلك «**من الماء والروح**» (يو ٣/ ٥-٨). فتتميّز تِلك الوِلادة **بأربع خصائص**:

---

(٧) في صلاة **استدعاء الروح القُدس** على القرابين، بالقُدّاس الباسيليّ القبطيّ، يقول الكاهن:
«نطلب إلى صلاحك، يا مُحبّ البشر
أن يحلّ روحك القُدُّوس **علينا ليُطهِّرنا**
وعلى هذه القرابين ليُحوِّلها [...]».

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

١ - **هي مُستديمة**، إذ إنّ صيغة الفِعل المُستعمَل هي، في تصريف الأفعال باليونانيّة، ماضٍ مُستديم، فالمعنى الحرفيُّ هو: «إن لم تولدوا (في الماضي) وإن لم تزالوا تولَدون (في الحاضر المُستمرّ)»، ما يدلُّ على استمراريّة الوِلادة، بلا انقطاع.

٢ - **هي ثانية/من فوق**، بحسب اللفظ اليونانيّ Anôthen المُزدوج المعنى[٨].

٣ - **هي من ماء المعموديّة والروح القُدس**. وهُناك معنى آخر: **من الماء الذي هو الروح**، ذلك أنّ هذا المعنى الثاني تفرضه قواعد اللُّغة اليونانيّة؛ فلو قصد الكاتب المعنى الأوّل، لقال: **من الماء ومن الروح**.

٤ - **هي غير مُتوقَّعة**، إذ إنّ «الريح/الروح يهبُّ حيث يشاء»، و«تِلك حالة كُلِّ مولود من الروح». (يو ٣/٨).

وبالروح، **تتجدّد الحياة**:

«إذا كان المسيح فيكم
والجسد سيموت بسبب من الخطيئة
فالروح حياة لكم لأنّ الله برّركم»
(روم ٨/١-١٧).

فالروح يُجدِّد بالفِعل حياة الذين برّرهم الله وسكن فيهم المسيح.

ويعمل الروح في **جديد تغيير الحياة**، عِندما بدّل حياةَ لاوي

---

(٨) كثيرًا ما يستعمل يوحنّا **ألفاظًا مُزدوجة المعنى**، لغِناها: 'رفع' (عن يمين الآب / على الصليب)، 'الريح' / 'الروح'، 'أسلم الروح' (لفظ الروح / منح الروح)...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

(متّى ٩/ ٩-١٣) وزكّا (لو ١٩/ ١-١٠) تبديلًا جريئًا جذريًّا. كما يعمل الروح عِندما يُخرج الإنسانُ «من كنزه كُلَّ جديد وقديم» (متّى ١٣/ ٥١).

الحُرِّيّة

بالاهتداء، بدافع من الروح القُدس، ينتقل المؤمن من **الخطايا** بوُقوعه في **«أعمال الجسد»**، إلى **الحُرِّيّة** وهي **«ثمر الروح»** (غل ٥/ ١٦-٢٥). لذلك يُناشد بولس المؤمنين:

«لا تُحزنوا روح الله القُدّوس
وبه خُتمتم ليوم الفداء»
(أف ٤/ ٣٠).

فهُم مدعوّون إلى أن يعيشوا الحُرِّيّة فيتجاوبوا وعمل الروح فيهم، وذلك بعملهم معه.

ثالثًا - عمل الروح في نُموِّ حياة المؤمن المسيحيّة

تتبع الاهتداءَ **الحياةُ بالروح** التي لخّصها بولس في روم ٨ وهي تكاد تكون شريعة الحياة المسيحيّة بفضل عمل الروح الذي هو مصدر إنمائها وإنضاجها. نذكر بعض الجوانب منها:

حياة الصلاة

يُعلن لنا الإنجيل أنّ الروح كان يدفع يسوع إلى الصلاة:

«**تهلّل بدافع من الروح القُدس** فقال:
'أحمدك، يا أبتِ، ربَّ السماء والأرض
على أنّك أخفيتَ هذه الأشياء على الحُكماء والأذكياء

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وكشفتَها للصِّغار.
نعم، يا أبتِ، هذا ما كان رِضاكَ.»
(لو ١٠/ ٢١).

وإنّ بولس، من واقع **خِبرته الروحيّة**، بالرغم من عُمقها، يُعلِّمنا:

«**الروح يأتي لنجدة ضعفنا**
لأنّنا لا نُحسن الصلاة كما يجب.
ولكنّ الروح نفسه يشفع لنا بأنّات لا توصف
والذي يختبر القُلوب يعلم ما هو نُزوع الروح
فإنّه يشفع للقدِّيسين بما يُوافق مشيئة الله»
(روم ٨/ ٢٦-٢٧).

فرغبة الروح الساكن في المؤمنين هي أن يُصلِّي فيهم، فيُوحِّد أنّات صلاته فيهم بصلاتهم الشخصيّة ليتوجّه إلى الآب. فالروح يُنادي فينا:

«أبّا، أيُّها الآب.»
(غل ٤/ ٦).

هكذا **يُعلِّم الروح المؤمنين الصلاة**، كما علّم يسوع تلاميذه الصلاة الربّيّة[٩].

حياة التعليم والتذكير والإرشاد

تتضمّن رِسالة الروح مُباشرةَ ما قاله وعلّمه وفعله يسوع، إذ كان

(٩) في الأدب الروحيّ الشرقيّ، ثمّة **اختبار ساروفيم الساروفيّ** الراهب الذي كان يملأه الروح القُدس في صلاته. راجع المُلحق الأوّل من المُجلَّد الأوّل.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تلاميذه غير مُستعدِّين لتقبُّله وفهمه. لذا قال لهم في وِداعه:

«المؤيِّد، الروح القدس الذي يُرسله الآب باسمي
هو **يُعلِّمكم** جميع الأشياء
ويُذكِّركم جميع ما قُلته لكم»
(يو ١٤/ ٢٦).

وقد شرح لهم ذلك باستفاضة:

«لا يزال عِندي أشياء كثيرة أقولها لكم
ولكنّكم لا تُطيقون الآن حملها.
فمتى جاء هو [المؤيِّد]، أي روح الحقّ
أرشدكم إلى الحقّ كلِّه»
(يو ١٦/ ١٢-١٥).

هكذا فالروح **كشف لهم معنى أقوال / أفعال يسوع**: فذِكر هدم الهيكل يرمز إلى موت يسوع (يو ٢/ ٢٢)؛ ورمز الروح «أنهار الماء الحيّ» (يو ٧/ ٣٧-٣٩)؛ ما حدث للعازر: هل هو نوم؟ موت؟ (يو ١١/ ١٣)؛ معنى دُخول يسوع أورشليم (يو ١٢/ ١٦)؛ معنى «رفْع» يسوع على الصليب (١٢/ ٣٢-٣٣). فضلًا عن كون الروح يُشخْصن أقوال/أفعال يسوع، وسرَّ خلاصه... وإلى اليوم، لا يزال الروح يقوم بالعمل عينه عِندما يقرأ ويتأمّل المؤمنون كلام الله. هكذا فإنّ الروح 'مُعلِّم' الكنيسة و'ذاكرتها' الإنجيليّة، و'مُرشدها'.

حياة الانقياد

من علامات النُّضوج المسيحيِّ ترك الروح يقود الحياة، ذلك ما تنبّأ به يسوع لسِمعان بُطرس:

«لمّا كُنتَ شابًا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كُنتَ تشدُّ الزُنّار بنفسك وتسير إلى حيث تشاء.
فإذا صرتَ شيخًا، بسطتَ يديك
وشدّ غيرك [أي الروح القُدس] لك الزُنّار
ومضى بك إلى حيث لا تشاء.
قال [يسوع] ذلك،
مُشيرًا إلى الميتة التي سيُمجِّد بها [بُطرس] الله»
(يو ٢١/١٨-١٩).

فضلًا عن كلام يسوع إلى نيقوديمس عِندما صرّح له
«حالة المولود من الروح»
(يو ٣/٨)،

فهو يهبُّ حيثما يشاء ومتى يشاء وكيفما يشاء، وإنّ مُنى تِلميذ يسوع المسيح أن يدَع روحه يقوده، مُضحِّيًا بإرادته الخاصّة ومُقرِّبًا إيّاها لقِيادة الروح.

حياة التمييز

وللروح دور في قِيام المؤمنين بالتمييز، وذلك على مُستويات **قِوى النفس الثلاثة**:

فعِندما يبحثون عن مشيئة الله على حياتهم الشخصيّة، ها إنّ الروح يُنير **عقلهم** في مسيرتهم التمييزيّة هذه.

وعِندما يكتشفون مشيئة الله، فها إنّ الروح يمنح **قلبهم** سلامًا باطنيًّا، مُثبِّتًا اختيارهم المُتناغم مع مشيئة الله.

وعِندما يأتي وقت تنفيذهم اختيارهم، فها إنّ الروح يهب **إرادتهم** القُدرة على تحقيقه في حياتهم العمليّة[١٠].

(١٠) للمزيد من توضيح مراحل **التمييز** وكيفيّته ودور الإنسان والروح، راجع=

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

رجاء المجد الآتي

يعيش المؤمنون **رجاء عتق الخليقة كُلِّها من عُبوديّة الخطيئة والموت** لتشترك في حُرِّيّة أبناء الله ومجدهم، وهم يسعون لأنّ يكونوا على مِثال **صورة الابن البِكر** لإخوة كثيرين. ولا يتحقّق ذلك إلّا لأنّ لهم **باكورة الروح** (روم ٨/ ١٨-٣٠).

الخُلاصة

إنّ ملحمة الروح هذه تجعل المؤمنين يُنشدون **نشيدًا في محبّة الله**، بدافع من الروح القُدس الساكن فيهم:

«لأنّ محبّة الله أُفيضت في قُلوبنا
بالروح القُدس الذي وُهب لنا»
(روم ٥/ ٥).

فتخرج الصرخة في فيض قُلوبهم المملوءة من الروح:

«مِن يفصلنا عن محبّة المسيح؟
[. . . لا شيء] بوُسعه أن يفصلنا عن محبّة الله
التي في المسيح يسوع ربِّنا»
(روم ٨/ ٣١-٣٩).

رابعًا - قِيادة الروحِ الكنيسةَ

لا يقتصر عمل الروح القُدس على الأشخاص في حدِّ ذاتهم، بل يمتدُّ إلى الكنيسة بصفتها شعب الله وجسد وعروس المسيح. وإنّ

=الفصل الخاصّ بـ'التمييز الإغناطيّ' من كتابنا **مدخل إلى روحانيّة القِدّيس إغناطيوس دي لويولا**.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

سِفر أعمال الرسل هو '**إنجيل الروح القُدس**'، كما قيل. فلنتجوّل فيه لنستخلص أهمّ ملامح عمل الروح في الكنيسة.

عنصرة اليهود (رُسل ٢)

يستهلُّ السِّفر **بانتظار الجماعة الأُولى حُلول الروح الموعود**. وها إنّ الوصيّة التي أوصى بها يسوع تلاميذه قبل صُعوده تختصُّ تحديدًا بالروح القُدس، اكتمالًا لخطوات العهد الخلاصيّ:

«الروح القُدس ينزل عليكم، فتنالون قُوّة
وتكونون لي شُهودًا
في أورشليم وكُلِّ اليهوديّة والسامرة
حتّى أقاصي الأرض»
(رُسل ١/ ٨).

وبالفِعل، لمّا أتى اليوم الخمسون، **ملأ الروح** المكان، وذُكر ذلك مرّتين، ذلك بأنّ الامتلاء والمِلء من سِمات شخصيّة الروح. و**حلّ الروح** على **رأس** كُلِّ واحد من الحاضرين، علامة العُنصر الشخصيّ في عمله. و**ظهرت ألسنة**، إشارة إلى تسبيح الله من جِهة، وإلى إعلان يسوع المسيح من جِهة أُخرى. وتِلك الألسنة كأنّها من **نار**، إذ إنّ الروح حرارة وحماسة، وانطلاقة وديناميّة، وشجاعة وقُوّة.

وقد حضر هذه العنصرةَ يهودُ جميع الأُمم والشُّعوب، علامة **شُموليّة العهد الخلاصيِّ** الذي حقّقه مجيء يسوع المسيح وحُلول الروح القدس على كُلِّ ذي جسد. هكذا تحقّق مِلء نبوءات العهد القديم والجديد. وبعد ما بلبلت بابلُ الألسنة وفرّقت البشر، جمعهم الروح القُدس، وجعلهم يفهمون بعضهم بعضًا.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عنصرة الوثنيّين (رُسل ١٠)

ولم ينحصر حُلول الروح على اليهود، فثمّة عنصرة الوثنيّين، لأنّ الله يُريد أن يُشرك جميع أبنائه في **عهده الخلاصيّ إشراكًا شُموليًّا كاملًا**. وقد اتّسمت هذه العنصرة **بحُرِّيّة الروح** إذ إنّه حلّ على الوثنيّين قبل أن يعتمدوا باسم يسوع المسيح؛ كما أنّه سبق أن طهّر جميع الأطعمة، وسمح باختلاط اليهود مع الوثنيّين. فالروح يهبُّ حقًّا حيثما يشاء وكيفما يشاء ومتى يشاء بحُرِّيّة كاملة. فما من شيء يُعجز الله حقيقةً.

حياة الكنيسة الناشئة

يقود الروح **رِسالة الكنيسة**، فهو صاحبها وسيِّدها: فإنّه يختار الرُّسل ويُرسلهم إلى أماكن جديدة ويملأهم لتحقيق رِسالتهم ويُثبِّتهم فيها، ويُلهم الرُّسل في إعلان يسوع المسيح مُخلِّصًا وربًّا، فيُعلِّمون بقُوّته، ويحثُّ المسيحيّين على الشهادة الحياتيّة، من داخل الجماعة إلى خارجها. وفي سبيل ذلك، فإنّه **يختار الخَدَم** ويُرسلهم ويُساعدهم ويُدافع عنهم.

كما أنّ **الروح يُنظِّم حياة الجماعة الداخليّة**، من تأسيس «الشمامسة» لخدمة الموائد وللتعميد، إلى جمع الهبات والتبرُّعات، إلى تحديد الحلال والحرام...

وفي نِهاية الأمر، كانت **الجماعة الكنسيّة الأُولى تنقاد بالروح القُدس**، فما العنصرتان سِوى بِداية تستمرُّ في حياة العهد الخلاصيّ، حتّى أعلن بولس في هذا الصدد:

«مكّننا [الروحُ] من خِدمة العهد الجديد

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عهد الروح»
(٢ قور ٣/٦).

وذلك تحديدًا ما جعل البابا يوحنّا الثالث والعِشرون يعقد المجمع الفاتيكانيّ الثاني تحت شارة «عنصرة جديدة»، ومن بعده البابا بولس الثاني «عنصرة مُستديمة»، ذلك لأنّ كنيسة اليوم، ككنيسة الأمس وكنيسة المُستقبل، **كنيسة الروح القُدس**.

خامسًا - «يقول الروح للكنائس»

ويرمز سِفر الرؤيا إلى **عمل الروح المُجدَّد دومًا في مُختلف كنائس المسيح** (رؤ ٢-٣). فإنّه يُخاطبها، ويُساعدها على التمييز الحياتيّ لتتقدّم في الحياة المسيحيّة، بالأمانة للماضي، وطِبقًا لمُقتضيات الحاضر، إعدادًا لمجيء المسيح وتحقيقًا لمُلك الآب. وإنّ فحص الضمير هذا، أو القِراءة النقديّة، مُوجَّهة إلى جميع الكنائس من كُلِّ العُصور والأماكن. فما الكنائس السبع المذكورة سِوى نماذج لجميع الكنائس العالميّة على مدار الأجيال وفي جميع أقطار المسكونة، كُلُّ كنيسة في وضعها الخاصّ.

كنيسة أفسس (رؤ ٢/١-٧)

«تتحلّى بالثبات فتحمّلتَ المشقّات في سبيل اسمي.
[...]
ولكنّ مأخذي عليك هو أنّ حُبّكَ الأوّل قد تركتَه.
فاذكُر مِن أين سقطتَ وتُب واعمل أعمالك السالفة».

كنيسة إزمير (رؤ ٢/٨-١١)

«لا تخفْ مِمّا ستُعاني من الآلام.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

[. . .]
كُن أمينًا حتّى الموت، فسأُعطيك إكليل الحياة».

كنيسة بِرْغامُس (رؤ ٢/ ١٢-١٧)

«تسكن حيث عرش الشيطان
ومع ذلك تتمسّك باسمي وما أنكرتَ إيماني.
[. . .]
تُبْ وإلّا جئتُك على عجل».

كنيسة تِياطيرة (رؤ ٢/ ١٨-٢٩)

«إنّي عليم بأعمالكَ ومحبّتك وإيمانك وخِدمتك وثباتك.
[. . .]
ولكنّ مأخذي عليكَ هو أنّك
تدع المرأة إيزابَل وشأنها [بعبادة الأوثان].
[. . .]
بما عندكم تمسَّكوا إلى أن آتي».

كنيسة سَرْديس (رؤ ٣/ ١-٦)

«يُطلَق عليكَ اسم معناه أنّك حيّ، مع أنّك ميْت.
[. . .] تُب. [. . .]
الغالب سيلبس ثِيابًا بيضًا
ولن أمحو اسمه من سِفر الحياة».

كنيسة فيلادِلْفيا (رؤ ٣/ ٧-١٣)

«على قِلّة قُوّتكَ حفظتَ كلمتي ولم تُنكر اسمي.
[. . .] أحببتُكَ. [. . .]
تمسّكْ بما عِندك لئلّا يأخذ أحد إكليلك».

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كنيسة اللاذقيّة (رؤ ٣/ ١٤-٢٢)

«لستَ باردًا ولا حارًّا. وليتكَ بارد أو حارّ!
أمّا وأنت فاتر، لا بارد ولا حارّ، فسأتقيّأك من فمي.
[...]
إنّي مَن أحببتُه أُوبِّخه وأُؤدِّبه، فكُن حميًّا وتُب.
هاءنذا واقف على الباب أقرعه
فإن سمع أحد صوتي وفتح الباب
دخلتُ إليه وتعشّيتُ معه وتعشّى معي».

ليست تِلك الوصايا والنصائح، والتشجيعات والتوبيخات، سِوى نماذج لما يقوله الروح لكُلِّ كنيسة ولكُلِّ الكنائس.

سادسًا - عمل الروح في الأسرار والمواهب

بعد هذه الجولة الوصفيّة لعمل الروح القُدس، نتساءل ما هي **الآليّات** التي استعملها ولا يزال يستعملها الروح القُدس ليعمل في الأشخاص الذين يسكن فيهم والكنائس التي يقودها. هُناك من جِهة «**المواهب الروحيّة**» (Charismata)، وهُناك من جِهة أُخرى «**الأسرار**» (Musteria بحسب تسمية الكنائس الشرقيّة) أو «**الآيات**» (Sacramenta بحسب تسمية الكنيسة الغربيّة). كيف يقوم الروح بهذه الأعمال ليُدخل المؤمنين والكنائس في العهد الخلاصيّ؟

مواهب الروح القُدس

من خصائص عمل الروح القُدس المواهب، و**هدفها بُنيان جسد المسيح** داخليًّا وخارجيًّا. فكانت المواهب، في **الكنيسة**

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الأُولى[١١]، مُزدهرة، تُساعد على إعلان يسوع المسيح بالكلمة وبالقُوّة المؤيِّدة لها، وتبني حياة الجماعة الداخليّة[١٢]. إنَّ كنيسة اليوم، أكثر من أيِّ وقت آخر، هي بمسيس الحاجة إلى قُوّة مواهب الروح ومُساندتها، سواء في 'الكرازة الجديدة'، أو في حياتها الباطنيّة[١٣].

وأمّا أعظم موهبة من مواهب الروح، فهي «**المحبّة**» (١ قور ١٣)، لأنّ الروح القُدس هو روح محبّة الآب والابن، وقد أُفيضت في القُلوب.

الروح القدس والأسرار

ويعمل الروح في **الأسرار الكنسيّة** أيضًا، تِلك التي أسّسها يسوع المسيح لتكون «**إحياءً لذِكره**»، ولا سِيّما ذِكرى فِصحه،

---

(١١) إنّ **ظاهرة المواهب** واردة في مُعظم أسفار العهد الجديد: ١ قور ١٢-١٤، روم ٦/١٢ ت، ٢٦/٨، أف ١١/٤، يع ١٣/٥ ت، ١ بط ١١/٤، مر ١٦/ ١٧-١٨، علاوة على سِفر أعمال الرُّسل المُحلّى بها...

(١٢) ثمّة مجموعة من المواهب خاصّة **بحياة** الجماعة الكنسيّة (الرِّسالة، الخِدمة، الرِّعاية، أعمال الرحمة...)، ومجموعة خاصّة **بصلاة** الجماعة الكنسيّة (النُّبوّة، المعرفة، الحِكمة، اللُّغات...)، ومجموعة خاصّة **بتعليم** الجماعة الكنسيّة (التعليم، الوعظ...)، ومجموعة خاصّة **بحاجات** الجماعة الكنسيّة (المُعجزات، شِفاء المرضى...)، ومجموعة خاصّة **بالأرواح** (تمييز الأرواح، إخراج الشياطين...). وهذه المواهب ممنوحة من أجل الجماعة الكنسيّة (أكثر من أنّها من أجل الأفراد بحدِّ ذاتهم، كما الأمر هو في الأسرار)، وهي مؤقّتة (يمنحها الروح ويسحبها كما يرى، على خِلاف الأسرار التي تتّسم بالديمومة).

(١٣) من ثِمار المجمع الفاتيكانيّ الثاني إعادة اعتراف السُّلطة الكنسيّة اعترافًا رسميًّا بأهمِّيّة مواهب الروح القُدس في حياة الكنيسة وفي رِسالتها، اليوم كالأمس.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

امتدادًا لحُضوره وعمله بعد صُعوده إلى يمين الآب، تحقيقًا لعهده الخلاصيِّ الذي يُخصِّصه الروح القُدس لكُلِّ من ينال سِرًّا من الأسرار. لنتتبّع ذلك في كُلِّ سِرٍّ من الأسرار السبعة:

١ - سِرُّ المعموديّة

الروح هو صاحب وفاعل **'الولادة الثانية/ من عَلُ'** (يو ٣/ ٣-٦)، كما سبق أن رأيناه. ففي سِرّ المعموديّة، هو الذي يجعل المُعمَّد، بعد وِلادته الأُولى من أُسرته الطبيعيّة الجسديّة، ينتمي إلى **الأُسرة الثالوثيّة**: ابنًا لله الآب، وأخًا ليسوع المسيح، وهيكلًا للروح القدس؛ وكذلك يجعله ينتمي إلى **الأُسرة الكنسيّة**: عضوًا فيها، مِثلما الجسد مُكوَّن من أعضاء كثيرة مُختلفة مُتكاملة مُوحّدة (١ قور ١٢ و١٤). ومن جِهة أُخرى، إنّ الروح يُشرك المُعمَّد في **سرِّ موت / قيامة يسوع المسيح** (روم ٦)، بقدر ما المعموديّة تُمنح «لمغفرة الخطايا».

٢ - سِرُّ الميرون / التثبيت

هُناك تقليدان كنسيّان: تقليد الشرق الذي يُركِّز على **سُكنى** الروح، من هنا أهمِّيّة 'تألُّه' المؤمن، اشتراكًا منه في «الطبيعة الإلهيّة» (٢ بط ١/ ٤)؛ وتقليد الغرب الذي يُركِّز على **عمل** الروح، ما يجعل المُعمَّد شاهدًا للمسيح بصفته عُضوا فاعلًا في الكنيسة.

٣ - سِرُّ الإفخارستيّا

في بِداية القُدّاس الإلهيِّ البيزنطيِّ **استدعاء للروح القُدس**: «أيُّها الملك السماويُّ المُعزّي...»، حتّى يقوده كاملًا، لا سِيّما في

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

خِدمة الكلمة (بإعلان الكاهن وشرحها وإصغاء الشعب)، و**خِدمة القرابين** (بتحويلها وتحويل المؤمنين معها)، و**خِدمة الإرسال** (ليحيا المؤمنون في حياتهم ما عاشوه في القُدّاس).

وهُناك أيضًا **استدعاؤه على المؤمنين** بعد كلام التقديس، في القداديس الشرقيّة، **ليحلّ عليهم ويُحوِّلهم**: «نحن، أبناءك الضُّعفاء الخاطئين، نطلب إلى صلاحك، يا مُحبّ للبشر، أن يحلّ روحك القُدّوس علينا وعلى هذه القرابين...» (القُدّاس الباسيليُّ القِبطيّ). وفي الصلاة الإفخارستيّة الرومانيّة الثالثة يذكر الكاهن: «عِندما نقتات جسد [المسيح] ودمه، **ونمتلئ من الروح القُدس**...».

وقبل التناول، في الطقس البيزنطيّ، يأخذ الكاهن مِعلقه فيها ماء يُسخِّنه على حرارة الشمعة، رمزًا **لحرارة الروح القُدس**، ثمّ يمزجه بدم الكأس الذي يتناوله الكاهن والمؤمنون. وبعد التناول، يُرنِّم الشعب: «إذ قد نظرنا النور الحقيقيّ، و**أخذنا الروح السماويّ**، ووجدنا الإيمان الحقّ...».

وفي الصلاة الإفخارستيّة الرومانيّة الثانية يذكر الكاهن أنّ **الروح يجمع المُشتركين في جسد واحد وروح واحد وقلب واحد**، بفضل الخبز الواحد والكأس الواحدة (١ قور ١٠/ ١٤-١٧، ١٢/ ١٢)، كما عاشته الجماعة المسيحيّة الأُولى بإيمان قويٍّ راسخ (رُسل ٢، ٤، ٥).

٤ - سِرُّ المُصالحة

للروح دور كبير في مُمارسته، ذلك بأنّه **يغفر الخطايا**؛ فعِندما تراءى يسوع القائم لتلاميذه، «نفخ فيهم وقال لهم: **'خُذوا الروح**

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القُدس. مَن غفرتم لهم خطاياهم تُغفر لهم، ومَن أمسكتم عليهم الغُفران يُمسَك عليهم'.» (يو ٢٠/ ٢٢-٢٣)[١٤].

وإنّ الروح يعمل في المؤمن ثلاثة أفعال: إنّه يجعله **يتوب** عن خطاياه الماضية، مؤثِّرًا هكذا في وِجدانه؛ ويجعله **يُصمِّم النيّة** بعقله في حاضره على تحاشي الخطيئة وتغيير حياته؛ ويمنحه قُوّة **إراديّة لتحقيق** مقصده في حياته المُستقبليّة.

٥ - سِرُّ الزواج

بما أنّ الروح 'علاقة'، فإنّه **يجذب** الزوجيْن بعضهما نحو بعض، ويجعلهما يلفظان **الرِّضى** المُتبادل، ويمنحهما قُوّته ونِعمته **ليعيشا حياتهما الزوجيّة** في الحُبّ والأمان، والعطاء والتعاون، ومُواجهة الصِّعاب والمشقّات، وتربية الأبناء. وإنّه يجعلهما يعيشان سِرّ المسيح الذي «أحبّ الكنيسة وجاد بنفسه من أجلها ليُقدِّسها...» (أف ٥/ ٢١ ت - راجع ما يقوله بولس عن الأبناء ولهم: ٦/ ١-٤).

٦ - سِرُّ الكهنوت

كما كان الروح **يختار ويُرسل** بوضع يد الرُّسل، ويُثبِّت ويُلهم ويقود، إذ إنّه صاحب الرِّسالة وسيِّدها، هكذا يعمل اليوم مع **الأساقفة والكهنة والشمامسة**، فيُساعدهم على القِيام بالخدمة

---

(١٤) تتمُّ المغفرة في **المعموديّة** أيضًا («لمغفرة الخطايا»، كما هو وارد في قانون الإيمان)، وكذلك في **الإفخارستيّا** («تُعطى لمغفرة الخطايا وللحياة الأبديّة» بالتناول، كما تذكره مُختلف الطُّقوس)، وفي **مِسحة المرضى** («إذا ارتكب بعض الخطايا، غُفرت له» بالزيت الذي يمسحه به الشُّيوخ: يع ٥/ ١٣-١٥).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

والرِّسالة في أبعادها الثلاثة النبويّة التعليميّة، والملَكيّة الرعويّة التدبيريّة، والكهنوتيّة الأسراريّة التقديسيّة، وذلك تمجيدًا للآب، واقتداء بالمسيح، وبُنيانًا للكنيسة، لخلاص المؤمنين والعالم أجمع.

٧ - سِرُّ مِسحة المرضى

إنّ الروح يُشرك المريض في **سِرِّ المسيح الخلاصيّ**، من آلام وموت وقيامة، جاعلًا المسيح حاضرًا ومُرافقًا له، هو الذي اختبر آلام البشريّة، تكيُّفًا منه معها. والروح يمنحه **القُوّة لتحمُّل آلام** المرض بمعناه **الخلاصيّ**، أو **اقتراب الموت** بمعناه القِياميّ.

الخاتمة

عبر المسيرة التي قُمنا بها، يُمكننا الإقرار أنّ **الروح القُدس هو هِبة الله العُظمى، وغاية الحياة المسيحيّة المُطلَقة، والعطيّة الإسكاتولوجيّة** إذ إنّه عُربون حياة الآخرة. وقد قال أثناسيوس ما ردّده آباء الكنيسة الشرقيّون:

«أصبح الله حاملًا للجسد (Sarcophoros)
ليُصبح الإنسان حاملًا للروح (Pneumatophoros)».

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

القِسم الثالث

قِراءة لاهوتيّة
في الخطيئة والخلاص
بين الأمس واليوم

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مُقدِّمة القِسم الثالث

نتناول في هذا القِسم الأخير **قضايا لاهوتيّة**، في ضوء ما توصّلنا إليه من نظرة كِتابيّة وآبائيّة، فنُحكِّم عقلنا في قضايا يطرحها **الفِكر المُعاصر**، بروحه النقديّة، على الفِكر اللاهوتيّ.

وثمّة أربع قضايا فلسفيّة لاهوتيّة تشغل بال المُفكِّرين، وهي **الشرّ**، و**الخطيئة**، و**الخطيئة الأصليّة**، و**الموت**. سنتناولها في أربعة فُصول مُتتالية، وقد استعنّا بالبيبْليوغرافيا المُدوَّنة في هذا المُجلَّد، بنوع خاصّ، في سبيل تأسيس خِطاب لاهوتيٍّ مُنظَّم مُنسَّق مُتكامل حول الموضوعات الأنثروبولوجيّة المدروسة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل السابع

قضيّة الشرّ

المُقدِّمة

إنّ قضيّة الشرِّ لا تقتصر على القضايا الدينيّة والإيمانيّة، بل هي **فلسفيّة أنثروبولوجيّة أيضًا**. كما أنّها قضيّة **وُجوديّة اختباريّة**، يعيشها كُلُّ إنسان، أيُّ إنسان. ولذلك فإنّها تُمثِّل للفِكر البشريِّ **'تحدِّيًا'** بتمام معنى الكلمة، وللفِكر الدينيِّ المسيحيِّ **'عثرة'** و**'حماقة'** بلُغة الصليب البولُسيّة (١ قور ١-٢). لماذا ذلك الوضع الشاذّ؟

لأنّ **الشرّ ليس أمرًا طبيعيًّا**، فهو **يُخالف السعادة** التي يسعي وراءها الإنسان والتي يحرمه منها الشرّ. لذا عبّر مُنذ فجر تاريخه عن **احتجاجه عليه**. ويظهر اختباره الشرّ في شكلينَ مُختلفين:

* إمّا **اللوم** الذي يستوجبه، إن كان مُخطئًا في تصرُّفه، وقد يُدان على ما اقترفه من شرّ، وقد يختبر شُعورًا بالذنب، يؤنِّبه ضميرُه على ذلك، وينتقده الناس.

* إمّا **الشكوى** في حالة تحمُّله مُختلف أشكال الشرّ، من مرض وألم وبؤس وظُلم وموت...، وقد يختبر أنّه ضحيّة وغير مُذنب لأنّه غير مسؤول عن الشرِّ الذي يفوقه. فيُوجِّه إلى لله عِتابًا، بل وقد

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يتقاضى معه، وذلك في إطار عهد الله مع شعبه المُختار. لذلك أتت المزامير صرخةً من صميم اختبار الشرّ اختبارًا مفعولًا به: «لماذا، يا ربّ؟»، «إلى متى، يا ربّ؟»...

وفي كِلتا الحالتين، يختبر الإنسان أنّه **خاضع لقِوى الشرّ**، وأنّه مُشترك في تاريخ الشرّ الذي يسبقه، سواء أكان فاعلًا الشرّ أو مفعولًا به.

وفي جميع الحالات، يسعى الإنسان **لمُقاومة الشرّ ولإزالته**، فيتجاوز الحالة التي يختبرها، ليصل إلى العمل في سبيل استبعاد الشرّ، بطُرق وأساليب فرديّة واجتماعيّة. وتتدخّل هُنا الفلسفات في مصدر الشرّ، والإيديولوجيّات في طريقة إزالته، إلّا أنّ الوحي الكِتابيّ يُقرّ بأنّ الخليقة أصلًا خير، ما يفتح باب **الرجاء** أنّ الكلمة الأخيرة، كالأُولى، ليست للشرّ بل للخير.

سنطرح القضيّة **طرحًا فِكريًّا**، ما سيسمح لنا بالقِيام بجولة تاريخيّة في **تنوُّع الخِطابات حول الشرّ**، لنستشفّ **دور الله ودور الإنسان في مُقاومته**.

أوّلًا - طرح القضيّة فِكريًّا

إنّ قضيّة وُجود الشرّ قديمة، وقد لخّصها توما الأكوينيُّ في ثلاث عِبارات تبدو أنّها مُتناقضة لا تستطيع أن تتزامن في ما بينها: **الله قدير - الله خير - الشرّ موجود**. فكيف يُمكن وُجود العناصر الثلاثة في آن واحد؟ فقد يتزامن عُنصران (الخير / الشرّ معًا، أو حتّى إله الخير / الشرّ، أو الإله القدير / الخير أو الشرّ)، ولكن لا يُمكن منطقيًّا أن يتزامن الإله القدير / الإله الخير / وُجود الشرّ،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فلأنّ الله قدير وخير، فإنّه يقدر أن يُمانع الشرّ، في حين أنّه لا يُمانعه فِعلًا، فكيف ولماذا لا يتدخّل؟ ثمّة إذًا مُفارقة حقيقيّة.

تزامُن الخير والشرّ

إنّ **تزامُن الخير والشرّ** مِفتاح لفهم ما يصعب فهمه. لذا قد ضرب يسوع مثل **تزامُن الزرع الطيِّب والزُّؤان** (متّى ١٣/ ٢٤-٣٠). والمُراد بموقف صاحب الحقل الذي زرع الطيِّب فقط، لا الزُّؤان، وبالرغم من ذلك رفض اقتلاع الزُّؤان خشيةَ اقتلاع الزرع الطيِّب معه، هو أنّه لا بُدّ من **قبول التباس وضع البشريّة** الذي يجمع بين الخير والشرّ، فما الحلم ببشريّة كُلُّها خير سِوى وهْم وخيال وسذاجة، ما ينجم عنه عكسُ ما يتوخّاه أصحاب هذا الرأي، ذلك بأنّ التاريخ البشريّ الحديث والمُعاصر يثبت أنّ جميع هذه الإيديولوجيّات واليوتوبيّات آلت إلى نقيض حِلمها، أي إلى استخدام العُنف وإقصاء الآخر المُختلف في الرأي (أمثال الثورة الفرنسيّة والماركسيّة والنازيّة...، وكذلك أُسطورة التقدُّم والنزعة الإلحاديّة...). هكذا، فإنّ رفض الواقع مصدر جديد للشرّ.

من قبول وُجود الشرِّ إلى مُقاومته

ولا يعني هذا الأمرُ **الخُضوعَ لحتميّة الشرّ** ولانتصاره على الخير. فثمّة أُسطورة الطوفان ووعد الله بعدم إعادة حُدوثه. ما ذلك الوعد يقينًا، بل هو **ثمر ثِقة الإنسان بكلام الله** وكذلك **اشتراكه البشريِّ بمُحاربة الشرّ** في قلب الإنسان وفي صميم المُجتمعات البشريّة؛ وذلك ما وجدناه تحديدًا في كلامنا على الجِهاد الروحيِّ حيث التفاعل مع الله في العهد الخلاصيّ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

أمّا **مُقاومة الشرّ في قلب الإنسان**، فتكمن في عدم تحقيق الذات بدون الآخر - سواء أكان ذلك الآخر اللهُ نفسه أم الأخ في الإنسانيّة -، أي استئصال جميع ألوان **الاستقلاليّة المُتطرّفة** من القلب[1]، و«التألُّه الذاتيّ»، بحسب تعبير اللاهوتيّ المُحلِّل النفسانيّ أنطوان فِيرْغوت (Antoine VERGOTE). فلا بُدّ من التحرُّر من امتلاك الحُرِّيّة المُنغلقة على ذاتها للانفتاح على الآخر واعتبار الحُرِّيّة الحقيقيّة مسيرة مع آخرين، بحسب اللاهوتيّ كريسْتوف تِيبوبالْد اليسوعيّ (Christophe THEOBALD SJ).

موقف الحُرِّيّة من الشرّ

فمُناهضة الشرّ في صميم المُجتمعات البشريّة تتطلّب **تحقيق الذات بالآخرين**، ولكن مع حِفاظ الشخص على استقلاليّته الذاتيّة تحاشيًا للاغتراب أو الاستعباد أو الذوبان. وعليه **فقضيّة الحُرِّيّة والشرّ** هي، بحسب أوغسطينس:

«علاقة جدليّة [. . . بين]
لُغة الحُرِّيّة ولُغة الحتميّة
[الوضع البشريّ] العَرَضيّ والشُّموليّ
المسؤوليّة وعدم القُدرة على الهُروب».

أضف إلى ذلك أنّ الشخص حُرّ ومُستقلّ، وفي الوقت عينه غير مُنغلق على ذاته، بل مُنفتح على الآخرين ومُشارك إيّاهم ومُتبادل معهم.

(Stephen J. DUFFY, *Our Hearts in Darkness: Original Sin revisited*, in *Theological Studies*, N° 49, 1988, p. 600).

---

(١) نذكر أنّ **'قلب'** الإنسان، في مفهومه الكِتابيّ، هو مركز فِكره وقراره وعمله واهتدائه وعلاقاته. . .، على خِلاف المفهوم اليونانيّ الذي يضع ذلك في **'عقل'** الإنسان.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ويعود هذا الازدواج إلى **فلسفة أوغسطينس** التي رفضت من جِهةٍ المانويّةَ (التي اعتبرت الإنسان مخلوقًا مزيجًا من الخير والشرّ)، ومن جِهة أُخرى البيلاجيّة (التي ركّزت على حُرِّيّة الإنسان، بدون تدخُّل الله ونِعمته). فمِحور فِكره أنّ الإنسان خُلق خيرًا، وما الشرُّ إلّا دخيلًا حرّف اتِّجاهه نحو الخير، ما استوجب تدخُّل الله. ثُمّ

«لا يكمن الشرُّ في الأشياء نفسها
بل في استعمال البشر إيّاها استعمالًا سيِّئًا»
(**الاعترافات**، ١/ ١٥/ ٣٣).

ويظلّ الشرُّ الباطنيّ خاضعًا لسيطرة عقل الإنسان:

«عِندما يُسيطر العقل على تحرُّكات النفس
يُمكننا القول بأنّ النِّظام يحكم الإنسان»
(**الاعترافات**، ١/ ٨/ ١٨).

وإذا استعنّا بنظرة '**فلسفة الأنوار**'، ولا سِيّما كانْط، رأينا انحيازًا واضحًا إلى **حُرِّيّة الإنسان واستقلاليّته الناضجة**. فقد اعتبر كانْط أنّ زلّة الإنسان كمُنت، لا في عِصيانه إرادةً خارجة عنه - أي الله -، بل في خُضوعه لها، اعتمادًا منه على قيمة الحُرِّيّة المُستقلّة. وليست نظرته هذه تفاؤلًا ساذجًا، ذلك بأنّه يؤمن بوُجود «**شرٍّ جذريّ**» (بالفرنسيّة: Mal radical)، غير أنّ ذلك الشرّ ليس وِراثيًّا مبدؤه أوّلُ خطيئة بشريّة، بل هو واقع بشريٌّ مبدؤه مجهول، يختبره كُلُّ إنسان في صميم حياته (راجع عِمّانوئيل كانْط، **إجابةً عن السؤال: ما هي الأنوار؟**)[٢].

(٢) إنّ تِلك الفلسفة مصدر تيّارات 'العلْمنة' (Sécularité)، و'العَلْمانيّة'=

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ثانيًا - مُختلف الخِطابات لفهم قضيّة الشرّ

عبّرت البشريّة في تاريخها عن قضيّة الشرّ **بفُنون أدبيّة مُختلفة**، شأنها شأن أيّ قضيّة بشريّة. وإنّ نظرة شاملة إلى الموضوع تسمح لنا بتمييز خمسة خِطابات سمحت للإنسان - الدينيّ أو غير الدينيّ - بأن يُعبِّر عن إدراكه الشرّ: الميثولوجيا (بالفرنسيّة: Mythologie)، والحِكمة (Sagesse)، والغُنوصيّة (Gnose)، والثيؤوديسيّا (Théodicée)، وللمسيحيّين خاصّة: الثّيولوجيا (Théologie). وإنّ كُل خِطاب يُظهر وجهًا من وُجود القضيّة، ويُبيِّن في الوقت عينه حُدوده، ما يستدعي خِطابًا آخر يُعمِّق دور **العقل والتعقُّل** من جِهة، واحترام **الصرخة الوُجوديّة** ضِدّ الشرّ من جِهة أُخرى.

الخِطاب الأُسطوريّ

لقد اعتمدنا على الأساطير في مسيرتنا الأنثروبولوجيّة هذه، لا سِيّما أُسطورتي الخلق وأُسطورة الزلّة وغيرها من أساطير بِداية التاريخ البشريّ (الطُّوفان، بُرج بابل، حوت يونان...)، وقد اعتبرنا أنّ «**الأُسطورة تدفع إلى التفكير**»، بحسب تعبير بول ريكور، مُقتبسًا مقولته هذه من أُستاذه الفلسفيّ عِمّانوئيل كانْط. وبالفِعل قدّرنا أهمّيّة الأُسطورة في فهم القضايا الأنثروبولوجيّة الرئيسة، وقد انطلقنا منها. إلّا أنّنا لم نكتفِ بذلك الفنّ الأدبيّ، لأنّه لا يكفي بحدِّ ذاته، بل يدفع إلى فنٍّ أدبيٍّ آخر يُعمِّقه، ما جعلنا نعود إلى خِطابات آباء الكنيسة وإلى الخِطاب الفِكريّ النظريّ المُعاصر.

=(Sécularisation)، و'العَلْمانيّة المُتطرِّفة' (Sécularisme) المُعاصرة، حيث التركيز - بدراجات مُتفاوتة من تيّار إلى تيّار آخر - على الإنسان الذي أصبح ناضجًا، مُستقلًّا، غير خاضع لقِوى خارجيّة، لا إلهيّة ولا بشريّة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخِطاب الحِكَميّ

إنّ الحِكمة البشريّة تنطلق مِمّا سبق («لماذا الشرّ؟» - «كيف الشرّ؟») وتطرح تساؤلًا مُلحًّا: «**لماذا أنا؟**»، و«**كيف أنا؟**». فلم يعُد السُّؤال سُؤالًا مُجرَّدًا نظريًّا شاملًا، بل أصبح **تساؤلًا وُجوديًّا عمليًّا عينيًّا**.

وللإجابة عن تِلك التساؤلات، نشأ مفهوم '**المسؤوليّة**'، وذلك على صعيدين مُتتاليين - الجماعيّ منه والشخصيّ - في ما يُقترف من أعمال وتصرُّفات شِرِّيرة تستوجب العِقاب (أو تصرُّفات خيِّرة تستحقُّ الثواب)؛ فهُناك إذًا سبب لوُجود الشرّ (أو الخير). وفي بِداية الأمر، كانت المسؤوليّة مُوزَّعة على جميع أعضاء العشيرة، ثُمّ ساعد الأنبياء - مِثل إرميا وحِزقيال - على أنّ مَن يرتكب الشرّ يتحمّل هو مسؤوليّته، ولا أهل عشيرته أو ذُرِّيّته. ويُمثِّل سِفر أيّوب أعظم تعبير عن الصِّراع ما بين 'البار المُتألِّم' البريء، وما يُحاول أصدقاؤه من إقناعه بأنّه مُذنب وبالتالي بأنّ ما يحدث له سببُه شرٌّ اقترفه.

وقد نظّر الفيلسوفان كانْط وهيغِل تِلك القضيّة بمفهوم «**المُجازاة**» الأخلاقيّة (بالفرنسيّة: Rétribution)، فتميّز تدريجًا الفرق بين '**الشرِّ الأخلاقيّ**' - وسببُه مُحدَّد، ومسؤوليّته مُحدَّدة ويستوجب العِقاب -، و'**الشرِّ المفعول به**'، بدون أن يستوجبه الشخص إذ لم يقترفه: فلماذا تُصيبني أنا مظاهرُ الشرّ - من مرض وألم وظُلم وكوارث طبيعيّة، بل ومن موت... - بدون أن أستوجبها، وأحيانًا بدون ما يُبرِّرها؟

الخِطاب الغُنوصيُّ وردُّ أوغسطينس

إنّ تِلك الخطوة تُسائل الشرّ في **معركة عُظمى بين الخير والشرّ**،

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فيتساءل الإنسان: «**مِن أين الشرّ؟**» (باللاتينيّة: ?Unde malum). وقد طرحت الغُنوصيّة هذا التساؤل وأجابت عنه بطريقة جعلت أوغسطينس يشعر بجسامة مأساويّتها، فأقرّ بأنّ الشرّ «**غير موجود**»، و«**ليس جوهرًا**» أُنطولوجيًّا، إذ إنّ الموجود هو الخير الذي خلقه الله، فكلُّ ما خلقه الله خير، وكُلُّ ما لا يخلقه الله غير موجود ميتافيزيقيًّا.

وساعد ردُّه على **التمييز الأُنطولوجيّ** الواضح بين الخالق الكامل / المخلوق الناقص، بين «الحُرِّيّة الأُنطولوجيّة» التي «تتّجه نحو» الله (Tendere) / «حُرِّيّة الاختيار» بين الخير والشرّ بإمكانيّة «انحراف الاتِّجاه نحو الله» (Aversio a Deo). هكذا فإنّ فِكر أوغسطينس لم يقتصر على خِطاب أُنطولوجيّ، بل تجاوزه نحو **خِطاب وُجوديّ**: من التساؤل الأُنطولوجيّ: ?Unde malum (من أين الشرّ؟)، إلى التساؤل الوُجوديّ: ?Unde malum faciamus (من أين نعمل الشرّ؟) حيث تتدخلُّ الإرادة الحُرّة في أفعال مُحدّدة. وأمّا إجابته عن هذا التساؤل فاتّصفت بالبُعد الأُنطولوجيّ، وذلك بتحديده «الخطيئة الأصليّة»، أو «خطيئة الطبيعة [البشريّة]»، وهي سبب الخطايا الوُجوديّة التي يقترفها البشر. وبالفِعل إنّ الاختبار البشريّ - الفرديّ والجماعيّ - يُقرُّ بوُجود الشرِّ قبل وُجود الأفعال الشِّرّيرة.

وإذا ألقينا نظرة نقديّة على ما توصّل إليه أوغسطينس، اضطررنا إلى أن نعترف أنّ أوغسطينس جمع في مفهوم 'الخطيئة الأصليّة' عُنصرين غير مُتجانسين: **وِراثتها** البيولوجيّة من جيل إلى جيل (البُعد الجماعيّ) / تسبُّبها في الشُّعور بالذنب **الشخصيّ** (البُعد الفرديّ). وبالفِعل المفهوم خطأ منهجيًّا إذ يُعقلن الأُسطورة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

عِلم الله

إنّ مرحلة الثّيؤودِيسيّا (بالفرنسيّة: Théodicée، أي - حرفيًّا - الخِطاب حول 'العدالة الإلهيّة')، وهو دِفاعيٌّ يُبرهن وُجود الله القدير الخيِّر والقابل وُجود الشرّ، سعيٌ وراء **خِطاب مُتعقِّل مُتناسق**، بدون التناقض الأوغسطينيِّ الذي أشرنا إليه. ويظلُّ رائده الفيلسوف لايْبِنيتْز (Leibniz الفيلسوف الألمانيُّ من القرن السابع عشر والثامن عشر)، عِندما تجاوز الخِطاب الأخلاقيّ بخِطاب ميتافيزيقيّ، بإقراره أنّ الشرّ نتيجة الخلق، إذ لم يخلق الله إلهًا مِثله، كما ولم يخلق الشرّ. وقد سبق أن عبّر توما الأكوينيُّ تعبيرًا مُتعقِّلًا عن ثُلاثيّة الله القدير / الله الخير / وُجود الشرّ.

غير أنّ تساؤلًا يظلُّ مطروحًا: هل يقدر **عقلُ** كائنٍ محدود مُتناهٍ أن يُحيط بقضيّة أولويّة الخير على الشرّ ويشرحها شرحًا وافيًا، في الوقت الذي يختبر ضراوة الشرّ؟ وهل يقدر أن يتصوّر إلهًا قديرًا خيِّرًا يقبل وُجود الشرّ؟ ينبغي الاعتراف **بعجز العقل**. إلّا أن أمامه **'إشارات'** إلى الأولويّة، وقد عرضها الوحي، أي ما يفوق قُدرات العقل[٣].

وقد قضى **كانْط** على عِلم الله هذا باعتبار موضوعه، لا «العقل المُجرَّد» (فذلك ميتافيزيقيّ)، بل «**العقل العمليّ**»، وذلك على صعيدين: أوّلًا، يجب عدم وُجود الشرّ، فلم يُولِ كانْط أهمّيّة للعُنصر التاريخيِّ الذي اعتمد عليه أوغسطينس ليُحدِّد مفهوم 'الخطيئة الأصليّة'، بل اعتبر أنّ «الشرّ الجذريّ» موجود في جميع

(٣) عنْون كوستي بنْدلي كِتابه على الموضوع: **السُّبل إلى الله**. فما من 'براهين' عقليّة عِلميّة، بل ثمّة 'علامات'، 'إشارات'، 'آيات'.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

البشر، ولا مُبرِّر لوُجوده، ولا نعرف مِن أين أتى، فليس التساؤل: Unde malum? (مِن أين الشرّ؟)، بل Unde malum faciamus? (مِن أين نعمل الشرّ؟)، ذلك بأنّ الشرّ يؤثِّر بالفِعل في جميع قرارات البشر وجميع تصرُّفاتهم؛ ثانيًا، يجب مُحاربة الشرّ، وبالتالي، إنّ القضيّة عمليّة لا عقليّة، أخلاقيّة لا ميتافيزيقيّة. ولقد ضحّى كانْط بصرخة الألم التي لم يعُدّها قضيّة فلسفيّة، وإن لم يعتبر الألم عِقابًا على فِعل اقترفه إنسان.

ومن بعد كانْط، عالج العديد من الفلاسفة قضيّة الشرّ، نذكر مُحاولة **هيغِل** على سبيل المِثال لا الحصر. والمعروف عنه أنّه أوْلى أهمّيّة بالغة لـ«النفي» (بالفرنسيّة: Négation, Négativité)[٤]. ويتضمّن النفي الموت، ليولد شيء جديد، وبالتالي، هُناك مِن جِهة تطابق على الصعيد العقليّ المنطقيّ (معنى الجدليّة كما حدّدناها)، والمأساوي (وُجود الألم والبؤس بالموت المُشار إليه). إلّا أنّ الوضع المأساويّ نفسه يُنفَى بدوره في الائتلاف الذي يُمثِّل مُصالحة. وفي ذلك تحديدًا يكمن النقص الهيغِليّ، حيث نفيُ الألم والبؤس وفي نِهاية المطاف نفيُ الشرّ في مُصالحةٍ ليست هي مُصالحة حقيقيّة.

---

(٤) تعتمد **الجدليّة الهيغِليّة** (Dialectique hégélienne) على ثلاثة عناصر: **إقرار** الشيء (Thèse) / **نفيه** (Antithèse) / **ائتلاف** الإقرار ونفيه (Synthèse). فعِندما يُحدِّد العقل البشريُّ قضيّة مُعيّنة، فإنّه ينفيها في الوقت عينه، ولا يعني نفيُها إلغاءَها، بل عرض عكسها؛ وكِلا الإقرار والنفي يُمثِّلان ائتلافًا (بالألمانيّة: Aufhebung) وهو حقيقة ثالثة مُختلفة عن الأُولى على حِدة والثانية على حِدة، بل تجمعهما وتتضمّنهما في شكل جديد.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخِطاب اللاهوتيّ

في خِتام جولتنا، لا بُدّ لنا من الاعتراف **بفشل جميع الخِطابات**، ولا سِيّما التي وصلت إلى تعقُّل كالمُجازاة والثيؤوديسيّا، ما دامت لم تأخذ في الاعتبار **شكوى الإنسان ونحيبَه من وُجود الشرّ** الذي يظلُّ تحدِّيًا وعثرة وحماقة، كما بدأنا كلامنا عليه. فما هو الخِطاب المؤهَّل لأن يحترم عُنصري الفِكر الميتافيزيقيّ العقليّ، والصرخة الوُجوديّة؟ إنّ اللاهوتيّ الكالْفينيّ كارْل بارْت (Karl BARTH في القرن العِشرين) يضعنا على طريق يُضيف ما لم تتطرّق إليه الخِطابات سالفة الذِّكر.

يعترف كارْل بارْت أنَّه لا يُمكن تكوين **خِطاب شامل وافٍ** في مِثل قضيّة الشرّ، ولكن، بالرغم من ذلك، لا بُدّ من التفكير فيها. ثُمّ إنّه يؤكِّد أنّ **الشرّ لا يتصالح مع الخليقة الخيِّرة**، وأعظم ما في كلامه من مِصداقيّة اعترافه بأنّ الله لا يكتفي بقبول وُجود الشرّ، بل إنّ **الله في معركة مع الشرّ**؛ وإذ الشرُّ لا وُجود له، فهو «عدم» يُقاوم الله ويُعاديه[٥]، ذلك ما أوحى به ويسوع على الصليب. فالصليب هو موضِع مُحاربة اللهِ الشرَّ. فالشرُّ موجود على نمط رفضِ الله إيّاه ومُحاربته[٦]. وعليه، فلا تناقض في داخل ثُلاثيّة القُدرة الإلهيّة /

---

(٥) لقد بنى يوحنّا إنجيل يسوع المسيح على شكل **صِراع** بين النور / الظُّلمة، والحقّ / الكذب، والحياة / الموت، أي، في نِهاية الأمر، بين يسوع / رئيس هذا العالم. وبالرغم من انتصار الشيطان انتصارًا ظاهرًا، إلّا أنّ الانتصار الحقيقيّ هو انتصار يسوع القائم، وإن لم يُعلَن الانتصار كاملًا بعد؛ فهو قد تحقّق / لم يتحقّق في آن واحد لأنّ الانتصار النِّهائيّ موضع رجاء، وما لنا إلّا عُربون الانتصار.

(٦) نتذكّر أنّ رِواية الخلق الثانية (في تك ١) تصف الله أمام «أرض خاوية=

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخير الإلهيّ / وُجود الشرّ، لأنّ الله يقبل وُجود الشرّ بمُحاربة إيّاه وانتصاره عليه، وإن لم يُعلَن الانتصار عليه كاملًا بعد.

وتصف الرِّسالة إلى العِبرانيّين مُصارعة يسوع الشرّ:

«في أيّام حياته البشريّة
رفع إلى الله الدُّعاء والابتهال
بصُراخ شديد ودُموع ذوارف
إلى الذي بوُسعه أن يُخلِّصه من الموت
فاستُجيب لتقواه»
(عِب ٥/ ٧).

ما يؤكِّد احترام صرخة الإنسان، وأخْذَها في الاعتبار بوجه كُلِّيٍّ وبجِدِّيّة تامّة.

وأمّا استجابة الله له، فتمثّلت بالقِيامة التي هي **انتصار الله** - القدير، الخير، القابل وُجودَ الشرّ ولا مُريده - **على الشرّ**. والله يُشرك الإنسان في ألم الصليب وعثرته وحماقته، وكذلك في مجد قِيامته[٧]. فللإنسان دور في مُحاربة الشرّ، من مُنطلق رجاء عظيم مبنيّ، لا على وعد من الله فحسب، بل على تحقيق ذلك الوعد بانتصار المسيح.

ويُطلق كارْل بارْت على تِلك الملحمة الإلهيّة تسمية «**المُفارقة**»، اعتمادًا منه على الفيلسوف الوُجوديِّ سورِنْ كيركيغارْد (Sören

=خالية، وعلى وجه الغمر ظلام»، وقد أدركنا أنّ الكاتب المُلهَم قد روى الأُسطورة مُتأثِّرًا بالخُروج من أرض العُبوديّة ومُصارعة اللهِ البحرَ وفِرعون.

(٧) نذكر طلب ابني زبدى إلى يسوع أن يجلسا في مجده على يمينه ويساره، فدعاهما يسوع إلى الاشتراك معه في معموديّته وآلامه، وفي شُرب كأسه، تاركيْن المجد لتحديد الآب (مر ١٠/ ٣٥-٤٠//).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

KIERKEGAARD) الذي اختبر الشرّ اختبارًا عمليًّا وحلّله تحليلًا فِكريًّا[٨].

الخُلاصة

تتمثّل **مِصداقيّة** أيِّ خطاب في مِثل قضيّة الشرِّ على جانبين ينبغي احترامهما كُلِّيًّا: **الفِكر الميتافيزيقيّ** (لأنّ الشرّ خارج الوضع البشريّ، يسبق وُجود الإنسان ووِلادة الأشخاص) / **الفِكر الوُجوديّ** (لأنّ الشرّ يؤثِّر في الوُجود البشريِّ الذي يختبر آثاره المُضنية من ألم وبؤس وموت...، ما يدفعه إلى الصرخة الاحتجاجيّة والنحيب والشكوى...). أضف إلى ذلك دور الله / دور الإنسان الذي نتعرّض له الآن.

ثالثًا - دور الإنسان في مُقاومة الشرّ

ليست قضيّة الشرِّ مسألة نظريّة فحسب، بل إنّها تشمل البُعد المُجرَّد والعمليّ والوِجدانيّ أيضًا. فلنُحلِّل **ثُلاثيّة الأقطاب** هذه بالتتالي.

المُقاومة الفِكريّة

إن اعتبرنا **قضيّة الشرِّ تحدِّيًا**، فبمعنى أنّ التحدِّي يفترض فشل

(٨) تختلف 'المُفارَقة' (Paradoxe) عن 'الجدليّة' (Dialectique) في أنّ هذه تنتهي بالمُصالحة الائتلافيّة؛ وأمّا تِلك فتُحافظ على العُنصرين اللذين يُكوِّنانها بدون عُنصر الائتلاف. لنضرب مَثل تجسُّد الله الكلمة في الإنسان يسوع: تُكوِّن الأُلوهيّة والإنسانيّة في شخص يسوع المسيح 'مُفارقة' بتمام معنى الكلمة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ادِّعاء أيِّ نظرة شاملة ونِهائيّة إلى القضيّة، أو أيِّ مُحاولة في اكتشاف حُلول للقضيّة، وذلك بتعمُّق مُستمرّ في الإجابات (لا في الحُلول) المُختلفة. فقد أظهرت مسيرتنا الخِطابيّة غِنًى وثراء لا مثيل لهما في طرح تساؤل «لماذا؟» الذي تصرخه ضحايا الشرّ؛ ويجب الاعتراف بفشل جميع المُحاولات في الإجابة عنه. غير أنّ عقلنا لم يستسلم لليأس ولا للكسل، وقد لاحظنا في مسيرتنا مُختلف المُحاولات الفِكريّة تزداد دِقّة من مرحلة إلى مرحلة أُخرى[٩]. وإذ نُنادي بدور للعمل والوِجدان، فامتدادًا مُثمرًا مِنّا لمُحاولات الفِكر.

المُقاومة العمليّة

كما سبق أن قُلنا مِرارًا، يجب 'عدم وُجود الشرّ'، إذ إنّ ذلك من مُتطلّبات الفِكر والمنطق؛ والتأمُّل في الشرِّ يؤدّي إلى العمل. فكما رأينا أنّ الله يقبل وُجود الشرِّ بقدر ما يُحاربه حتّى جاد بابنه الوحيد ليُحاربه بين عالم البشر، فكذلك **على الإنسان أن يُقاومه** عمليًّا. وفيما طرح الفِكر تساؤل مصدر الشرّ: «مِن أين الشرّ؟»، يُجيب العمل: «ما العمل لمُقاومة الشرّ؟». وذلك قِمّة الروح الإنسانيّة التي تشعر بالمسؤوليّة تُجاه الآخرين حيث الإنسان هدف ولا وسيلة (عِمّانوئيل كانْط)؛ وكذلك قِمّة الضمير الأخلاقيِّ الذي هو علي يقين أن ضميره نفسه يُصيبه الشرّ، وبالرغم من ذلك فإنّه يُقاومه، في نظرة واقعيّة إذًا ولا ساذجة أو قدَريّة (Jean NABERT). فلم تتصوّب النظرة إلى الماضي، بل إلى

(٩) كثيرًا ما يقع فِكرنا في الكسل عِندما يُقرُّ بسُرعة أنّ ذلك 'سِرّ': سرُّ الله، سِرُّ الوُجود... فإنّما ذلك تبرير لنوع من الكسل الفِكريّ. فأمّا مسيرة البشريّة، كما أوضحناها في مُختلف الخِطابات الفِكريّة والوُجوديّة، فلم تملّ ولم تكلّ ولم تستسلم، بل داومت في المُحاولات.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المُستقبل؛ ولم تعُد تأمُّليّة، بل عمليّة بصِفتها **واجبًا أخلاقيًّا وسِياسيًّا** ضِدّ عُنف الشرّ بين البشر، وضِدّ نتائجه في حياة البشر. وذلك الموقف أفضل من اتّهام الله بالتواطؤ مع الشرّ.

غير أنّ الإجابة غير مُرضية تمامًا لسبب أنّ **العمل البشريّ**، مهما عظُم شأنه - ضِدّ العُنف البشريّ، وضِدّ الكوارث الطبيعيّة، وضِدّ المرض والألم، وضِدّ الظُّلم والعُنف، بل وضَدّ الموت... - لا يتناسب مع جسامة **الواجب** القِيام به؛ فالعمل يفوق قُدرات الإنسان، ما لم يتيقّظ إليه أصحاب 'أُسطورة التقدُّم' الذين تصوّروا، بسذاجة جسيمة، أنّ الإنسان قادر على استئصال جميع ألوان الشرّ، ما أدّى بهم - في نِهاية الأمر - إلى استخدام العُنف لفرض نظريّاتهم. فضلًا عن أنّ التساؤل: «**لماذا أنا؟**» يدوم ولا يجد إجابة. لذا تطلّب الأمر إدخال عُنصر آخر للإجابة الشافية عن وُجود الشرّ بل وآثاره الشِّرِّيرة.

المُقاومة الوِجدانيّة الروحيّة

ينبغي أن تغتني مشاعر **الشكوى والنحيب** بخِبرة الحِكمة والفلسفة والخِطاب اللاهوتيّ، فتكتسب بُعدًا وِجدانيًّا روحيًّا عميقًا، على ثلاثة مُستويات، ألا وهي **النُموُّ الشخصيّ، والاشتراك في آلام المسيح، في سبيل خلاص البشر**، ما يتطلّب إيمانًا قويمًا، ورجاء راسخًا، ومحبّة فائقة[١٠].

---

(١٠) لقد استفضنا في تحليل ثُلاثيّة المعاني هذه، وذلك في الوحدة الثانية من **خواطر روحيّة في أعماق الإنسان**:

* البُعد **الشخصيّ**: النُّموُّ في النُّضوج - النُّموُّ في التواضع - التطهير من الخطايا - اكتساب الحُرِّيّة الداخليّة. =

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخاتمة

خِتامًا لمسيرتنا في قضيّة الشرّ، يجب الاعتراف بأنّ **نتائج تحرِّياتنا مُتواضعة**، غير شافية. ومع ذلك، فقد ساعدتنا مسيرتُنا على التقرُّب من الذين يُفكِّرون في قضيّة الشرّ (الجانب الميتافيزيقيّ والجانب الأخلاقيّ) والتقرُّب من ضحايا الشرّ بدون أن نستسلم له (الجانب الوُجوديّ). **فالشرُّ موجود على نمط اللاوُجود** واللاكيان واللامعنى، وعلى نمط مُحاربته، لأنّ الله نفسه يُقرُّ بوُجوده وهو يُقاومه في حياة ابنه يسوع المسيح وموته وقِيامته. والإنسان، الذي هو على صورة الله كمِثاله، لا يحقُّ له أن يعترف بوُجود الشرِّ إلّا إذا حاربه بجميع الإمكانيّات الإلهيّة والإنسانيّة.

= * البُعد **الروحيّ**: الجِهاد مع الله - مُحاربة تجارب الشِّرِّير - التمثُّل بالمسيح المُتألِّم - الليل الروحيّ - المجد الآتي - الصلاة.

* بُعد **الآخرين**: التضامُن والتواجُد مع البشريّة المُتألِّمة - الاشتراك مع الله في خلاص البشر.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الثامن

قضيّة الخطيئة

المُقدِّمة

إن كان **الشرُّ** غير خاضع لحُرِّيّة الإنسان، إذ إنّه سابق عليه والإنسان غير مسؤول عن حُدوثه، إلّا أنّ **الخطيئة** (باليونانيّة: Amartia)[1] هي وليدة الحُرِّيّة. وقد تلمّسنا في جولتنا الكِتابيّة والآبائيّة بُعد التسامي فيها (الكبرياء ضِدّ الله) وبُعدها الأخلاقيّ (المُتعلِّق بالإنسانيّة وبالخليقة). سنُحاول، في هذا الفصل، أن نُنظِّر قضيّة الخطيئة من ثلاث زوايا مُتكاملة: مضمون روح **المسؤوليّة** في الخطيئة، و**الإحساس الشخصيُّ** بالخطيئة، وملامح **خِطاب لاهوتيٍّ** حول الخطيئة والخلاص.

أوّلًا - مضمون روح المسؤوليّة

نتحرّى عن مضمون المسؤوليّة في اقتراف الخطيئة، وهي **ثُلاثيّة الأبعاد**: بُعد ذاتيّ، وبُعد موضوعيّ، وبُعد مُتسامٍ.

(١) لقد اعتبر بعض المُفسِّرين أنّ 'الخطيئة' لدى بولس مِثل 'الحيّة' في سِفر التكوين، فهي أكثر من قُوّة عمياء، كأنّها كائن حيٌّ واعٍ بما يفعل في الإنسان.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المسؤوليّة وبُعدها الذاتيّ

يحقُّ الكلام على الخطيئة إن كان الذي يقترفها مسؤولًا عمّا يقترفه. ولقد ساعد الأنبياء على تطوير **روح المسئوليّة** بحيث إنّ كُلّ إنسان مسؤول عن أفعاله، فلا يتحمّل أخطاء آبائه. وعليه، فاليوم يدور التركيز على **البُعد الشخصيّ الذاتيّ** مِمَّن اقترف الخطيئة، وفي ذلك مكسب بلا أدنى شكّ، لأنّه يُظهر جانب الحُرِّيّة الإنسانيّة، في حين أنّ البُعد الجماعيّ من الخطيئة قد يؤدّي إلى عدم تحمُّل المسؤوليّة، وقد يؤول إلى الاعتماد على الحتميّات الاجتماعيّة والتقليديّة والوِراثيّة. وقد قال اللاهوتيُّ بِيار غانْ اليسوعيّ:

«هُناك دائمًا وجه من وراء الخطيئة
أي هُناك حُرِّيّة»

(Pierre GANNE SJ, *Péché, pardon et communion des saints*, Anne Sigier, 2006, p. 15).

لذلك، فإنّ الصِّيغة المألوفة '**الخطيئة الأصليّة**' التي تمسُّ جميع البشر، صيغة غير دقيقة، لأنّه لا يجوز اعتبار خطيئة إلّا عمّا يقترفه إنسان بمحض حُرِّيّته. وعليه، يُستحسن استعمال الصِّيغة الأُخرى التي استعملها أوغسطينس - وإن كانت غير دارجة مِثل 'الخطيئة الأصليّة' -، ألا وهي '**الخطيئة في الأصل**'. وسنُقدِّر في حينه أفضليّتها.

المسؤوليّة وبُعدها الموضوعيّ

غير أنّ ثمّة خطر الوُقوع في الذاتيّة المُتطرِّفة، ما يستدعي التركيز في الوقت عينه على البُعد الموضوعيّ المُتضمِّن في الخطيئة، أي على **الشريعة والقانون**، وهُما وجهان موضوعيّان من الحياة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الاجتماعيّة[٢]. أضف إلى ذلك طابع **شُموليّة** الخطيئة (راجع روم ٣/ ٩، غل ٣/ ٢٢...) الذي يُعبِّر عن موضوعيّتها، وقد وصفها الكِتاب المُقدّس عِندما أظهر تفشّيها في بابل، وأثناء الطوفان، وفي سدوم وعامورة...

المسؤوليّة والتسامي

علاوةً على ذلك، من المُهمّ إظهار **بُعد التسامي** أيضًا، تحاشيًا لتسطيح الأُمور، ذلك لأنّ الخطيئة فِعل مُوجَّه ضِدّ الله، كما سبق أن حلّلناه، أو، بعِبارة المُحلِّل النفسانيّ المُعاصر دينيه فاسْ اليسوعيّ، الخطيئة «تُسمِّم النبع» (Denis VASSE SJ, 1995). وقد اعتبر يوحنّا الإنجيليّ أنّ 'الخطيئة' هي عدم الإيمان بيسوع المسيح، ولذلك أرسل البراقليط

«ليُخزي العالم على الخطيئة [...]
لأنّهم لا يؤمنون بي»
(يو ١٦/ ٨-٩).

الخُلاصة

هكذا يستدعي تحليل الخطيئة الأخذ في الاعتبار **ثلاثة أصعدة**

---

(٢) بالمنطق عينه، ردّد البابا بِندكُتُس السادس عشر، في مُناسبات مُتعدِّدة، أنّه لا يكفي الكلام على '**صِدق**' **الشخص**، وإلى '**شفافيّته**'، وإن كانت مُهمّة، لأنّها تعتبر أنّ المرجعيّة الوحيدة هي الناحيةُ **الذاتية**؛ بل ينبغي الكلام في الوقت عينه على '**الحقّ**'، أي على الجانب الموضوعيّ. وإنّ إنجيل يوحنّا هو الذي يُركِّز على ذلك، عِندما يسرد كلام يسوع: «الحقُّ يُحرِّركم» (يو ٨/ ٣٢) - «روح الحقِّ سيُرشدكم إلى الحقِّ كُلِّه» (يو ١٦/ ١٣). فثمّة إذًا الجانب الذاتيُّ والموضوعيُّ معًا، في تكامل بينهما.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مُتكاملة: البُعد **الشخصيّ** (الذي بدونه ما من خطيئة)، والبُعد **الموضوعيّ الاجتماعيّ** (الذي باحترامه يضمن الحياة المُجتمعيّة)، والبُعد **المُتسامي** (الذي يضمن احترام بُعد العُمق في حياة الإنسان).

ثانيًا - الإحساس الشخصيُّ بالخطيئة

نعود إلى **البُعد الذاتيّ** الذي تتضمّنه الخطيئة وروح المسؤوليّة، لأنّه مِحور اقتراف أيِّ **فِعل خطيئة**. والحقُّ يُقال في هذا الصدد، أنّ الكلام على الخطيئة لا يتمتّع اليوم بشعبيّة كبيرة، وذلك لأنّها تُولِّد في المؤمنين شُعورًا لا يرضى عنه الإنسان المُعاصر؛ لذلك يهمُّنا التعمُّق في أثر الخطيئة في نفسيّة الشخص الذي يقع فيها.

الخجل

عادةً ما يختبر الشخص **إحساسًا بالخجل تُجاه الجماعة** التي ينتمي إليها. ويؤول ذلك به إلى أن يختار 'كبش فِداء' تكفيرًا عمّا فعله، وذلك تحديدًا ما كان يقوم به اليهود تكفيرًا عن خطاياهم. غير أنّ الشُّعور بالخجل قد استُبطِن، بتأثير من عالم الكِتاب المُقدّس، كما اعترف به فرويد.

الشُّعور بالذنب

رأينا كيف أنّ آدم وحوّاء **لم يعترفا بأنّهما مُخطئين**، فلم يُقرّان بمسؤوليّتهما في اقتراف الخطيئة، خوفًا من الإله الذي كانا يتصوّرانه قاضيًا يُحاكم ويدين. وإنّ ذلك يؤدّي بالإنسان، في نِهاية الأمر، إلى أن يشعر بالذنب شُعورًا دفينًا، وهو صوت ضميره غير المُرتاح، قد يُفضي بصاحبه إلى الشلل، أو إلى الضمير المُعذَّب الذي يُعذِّب نفسه، بحسب تحاليل نيتْشِه.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وأمّا **الاعتراف بالخطأ** - لا كِتمانه أو التستُّر عليه - فهو الذي يُحرِّر الإنسان من خطئه وخطيئته، لأنّ الإنسان كائن مُجتمعيّ، يُريده الله إنسانًا حُرًّا ناضجًا شفّافًا يتحمّل مسؤوليّة أفعاله وتصرُّفاته. والاعتراف هذا هو على نقيض الاعتراف بالقدَر أو الحتميّة التي تتخلّي فيها الحُرِّيّة المسؤولة عن نفسها. وأمّا الاعتراف، فهو السماح للروح القُدس بأن يُبكِّت الضمير في سبيل التوبة والاهتداء، بل بالحريّ بأن

«يُخزي العالم [. . .] على الدينونة
لأنّ سيِّد هذا العالم قد دين»
(يو ١٦/ ٨-١١).

فإنّ الشيطان الكذّاب لا يُحبُّ الاعتراف لأنّه يفضحه.

وإنّ **الشُّعور بالذنب** يعني استبطانًا كيانيًّا لما يقوم به الإنسان. ولقد لاحظ فرويد أنّ اللُّغة الألمانيّة تجمع ما بين 'الشُّعور الذّنب' (Schuldigkeit، بالفرنسيّة: Culpabilité) و'الدَّيْن' (Schuld، بالفرنسيّة: Dette)، فاعتبر أنّ الشُّعور بالذنب هو الديْن الذي لا بُدّ من دفعه تعويضًا عن اقتراف زلّة. وتُجاه هذا الشُّعور، ثمّة عِدّة تصرُّفات مُمكنة يتصرّفها الشخص الخاطئ:

١ - انقسام الضمير

ذلك ما اختبره بولس إذ اكتشف أنّه يفعل ما لا يُريد أن يفعله، ولا يفعل ما يُريد أن يفعله، مُعترفًا أنّ الخطيئة تسكن فيه وتُؤدّي به إلى ذلك الانقسام (روم ٧/ ١٥ ت).

٢ - عُقدة الضحيّة

يُلاحق الشخصَ شُعورٌ مؤلم بأنّه يستوجب العِقاب وعدم

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

السعادة (بالفرنسيّة: Victimisation)، إذ يُدفن شُعورَه في اللاوعي، فيختبر أنّه لا يتقدّم في حياته وتصرُّفاته وعلاقاته؛ وكثيرًا ما يعتبر أنّ المُذنِب الحقيقيّ ليس هو، بل الآخر الذي قد يكون شخصًا مِثله أو جماعةً (الإرهابيّين، أصحاب دِيانة أُخرى...)، ما يؤجِّج في باطنه، بل وفي تصرُّفاته الخارجيّة، الشُّعور بالحِقد، فاستعمال العُنف، أو الرغبة في الانتقام... ولقد شرح يوحنّا كيف أنّ المحبّة حياة، وعدم المحبّة موت (راجع ١ يو ٣/ ١١-١٥، ٢٣).

٣ - الشُّعور بالعجز

ينشأ هذا الشُّعور من جسامة تفشِّي الشرّ - داخِليًّا وخارجيًّا - ليُصبح قدَرًا يسجن الإنسان في الشرّ، وحتميّةً تستعبده وتجعله يعود إلى اقتراف الخطيئة في دائرة مُفرغة. ولا يُمكن الخُروج من تِلك الحالة إلّا بمسيرة حياتيّة هي على نقيض الدائرة المُغلَقة الفاسدة.

٤ - المُصالحة

تتمُّ نقلة نوعيّة عِندما دعا يسوع إلى **المُسامحة** سبعين مرّة سبع مرّات (متّى ١٨/ ٢١-٢٢)، وقد سامح هو نفسه وهو مُعلَّق على الصليب طالبًا إلى الآب **المغفرة** لِمَن أساءوا إليه (لو ٢٣/ ٣٤). ولذا فقد استبدل المجمع الفاتيكانيُّ الثاني تسمية 'سِرِّ التوبة' أو 'سِرِّ الاعتراف' بـ'**سِرِّ المُصالحة**'، حيث المُصالحة مع الله، والآخر، والجماعات الأُخرى، والكنيسة، والذات؛ وحيث الثِّقة برحمة الله الذي لا يُريد موت الخاطئ، بل مغفرة خطاياه، وتحريره من سُلطان الخطيئة، ومنحه حياته الإلهيّة (راجع رِسالة البابا يوحنّا بولس الثاني، **المُصالحة والتوبة**، ١٩).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٥ - الاعتراف بالبِرِّ والبراءة

وهُناك أيضًا، للخُروج من مأزق عُقدة الذنب، الاعتراف بنقيض الذنب، أي **بالبراءة من الخطيئة**. ولقد عرفت اليهوديّة المُتأخِّرة تيّار 'البار المُضطهَد'[٣] مِثل **أيّوب** الذي لم يقبل نصيحة أصدقائه الذين سعوا لأن يعترف بخطإٍ لم يقترفه، مُعترفًا أنّ الشرّ كامن في الإنسان. وقد فضّل مُواجهة الله الذي يعرف براءته، ما لم يتمّ إلّا بتطهير الآراء المغلوطة المُزيّفة عن الله، كالإله الذي يتربّص للخطأ، ويحكم ويدين ويُعاقب[٤].

ويظلُّ **يسوع** أعظم مَثل للبارّ الذي واجه الجُنديّ الذي لطمه لأنّه قال كلمة الحقّ:

«إن كنتُ أسأتُ في الكلام، فبيِّن الإساءة
وإن كنتُ أحسنتُ في الكلام، فلماذا تضربني؟»
(يو ١٨/ ٢٢-٢٣).

هكذا، فإنّ الاعتراف بالبِرِّ والبراءة يكسر شوكة الذنب وحِدّةَ استعباده، ويضع صاحبه في الحقّ.

ثالثًا - نحو خِطاب لاهوتيٍّ حول الخطيئة والخلاص

أوّل مبدإٍ نبغي التركيز عليه، هو أنّه ما من **خطاب لاهوتيٍّ حول**

---

(٣) راجع مثلًا: المزمور ٢١، وأناشيد 'عبد يهوه المُتألِّم' الأربعة في أشعيا: ٤٢/ ١-٩، ٤٩/ ١-٧، ٥٠/ ٤-١١، ٥٢/ ١٣ - ٥٣/ ١٢، ومراثي إرميا...

(٤) قارن هذه النظرة الإيمانيّة العميقة بنظرة قايِن إلى الله الذي يدينه: «والآن، ملعون أنتَ [...]. تائهًا شاردًا في الأرض. [...] وخرج قايِن من أمام الربّ» (تك ٤/ ٩-١٦).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخطيئة إلّا وهو **مقرون بالخلاص**. وكلمة بولس في هذا الشأن هي الرائدة:

«الله أغلق على جميع الناس في العِصيان
ليرحمهم جميعًا»
(روم ١١/ ٣١).

فما من خطاب مسيحيٍّ صائب إلّا وهو يُظهر هذا الارتباط الوثيق.

وليست الخطيئة والخلاص في تنافس، أو على صعيد واحد، بل إنّ **الأفضليّة والأولويّة** تعودان، بلا أدنى شكٍّ وبكُلِّ وُضوح، إلى **الخلاص من الخطيئة**. فالله إله الخلاص الذي يقصد منه إدخال **الإنسان في عهد معه**. وقد عبّر بولس عن تِلك الحقيقة بصيغته المُتكرِّرة المعروفة: «فكم بالحريّ»، قاصدًا منطق الخلاص والنِّعمة (روم ٥/ ١٥-١٧). وكذلك، في مِثل قوله الشهير:

«حيثما كثرت الخطيئة
فاضت النِّعمة»
(روم ٥/ ٢٠).

وإذا حاولنا أن نرسم ملامح الخِطاب اللاهوتيّ حول **الخطيئة / الخلاص**، ينبغي لنا الكلام على مُستويين مُتكاملين: المُستوى **الشامل الموضوعيّ** الذي يخصُّ البشريّة جمعاء / المُستوى **العينيّ الذاتيّ** الذي يخصُّ كُلّ إنسان. وكِلا القُطبين الخطيئة / الخلاص من جِهة، والشامل الموضوعيّ / العينيّ الذاتيّ من جِهة أُخرى، هُما من صميم عمل **يسوع المسيح في الشامل / الروح القُدس في العينيّ**[٥]. **ونحن لا نؤمن 'بالخطيئة'، بل 'بمغفرة الخطيئة'**.

(٥) لا يعني ذلك إطلاقًا أنّ يسوع المسيح خلّص البشريّة بوجه عامّ، والروح=

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مِثلما وصفنا الشرّ **باللاكيان واللاوُجود واللامعنى**، كذلك يُمكننا اعتبار الخطيئة:

«غير موجودة في الطبيعة
بمعزل عن الإرادة الحُرّة.
ليست هي جوهرًا»
(غريغوريوس النيصيّ).

«البشر، إذا خطئوا، فإنّهم غير موجودين»
(توما الأكوينيّ، **الخُلاصة اللاهوتيّة**، ٤/ ١/ ٢٠).

الخاتمة

تجربتان تُهدِّدان الخِطاب اللاهوتيّ حول الخطيئة: **رفض حُرِّيّة الإنسان** في كنَف أُسطورة خلق الإنسان مفطورًا بالشرّ (وهي نزعة المانويّة الفارسيّة...) / **تضخيم حُرِّيّة الإنسان** في كنَف أُسطورة التقدُّم (وهي نزعة بروميتيؤوس اليونانيّة، وبيلاجيوس المسيحيّ، وفلسفة الأنوار...). وقد تحاشى أوغسطينس الوُقوع في جِبال التجربتين، أمينًا للوحي الإلهيّ، لا سِيّما بتأكيده **خلق الإنسان حُرًّا على صورة الله كمِثاله / دُخول الخطيئة التي شوّهت الصورة وحرّفت اتِّجاه الحُرِّيّة ولم تُلغِها / تدخُّل الله بخلاص صورته** وإعادة **إدخاله في عهده / تجاوب الإنسان الحُرّ** مع العهد الخلاصيّ الإلهيّ.

إلّا أنّهما لا تزالان تُهدِّدان أيّ خِطاب لاهوتيّ، وإن اختلف مُحيطه وصِيغه وتساؤلاته واهتماماته. ما جعلنا نتبنّى **خِطابًا لاهوتيًّا تأويليًّا**:

=القُدس بوجه خاصّ، بل كِلاهما يعملان شاملًا / عينيًّا، موضوعيًّا / ذاتيًّا.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فإزاء التهديد المانويّ، ينبغي الإلحاح في أنّ

«الشرّ ليس شيئًا موجودًا، ولا كيان له»

(Paul RICŒUR, *Le conflit des interprétations,* p. 268).

إذ إنّه دخيل على الإنسان، وليس هو أصليًّا فيه.

وإزاء **التهديد البيلاجيّ**، ينبغي الإلحاح في **استباق الشرِّ على الفرد**، ولذا، فلم تعُد الحُرِّيّة كما قصدها الله، 'تتّجه نحوه'، بل انحرف اتّجاهُها.

وإزاء التهديدين، ينبغي التشديد على العهد الخلاصيّ، فإن كانت **الكلمة الأُولى** من الوُجود البشريِّ هي للشرّ، وللتضامن البشريِّ في الشرّ، إلّا أنّ **الكلمة الأخيرة** هي للخلاص منه والعودة إلى الله الذي سمح بالشرِّ ليُظهر مجده تعالى وسُلطانه الإلهيّ؛ وليس ذلك وعدًا فحسب، كما وعده الله في العهد القديم، بل تحقّق بيسوع المسيح وبالروح القُدس. وبتعبير آخر، إنّ التيليولوجيا (Teleologia، أي غاية الإنسان القُصوى) أو الإسكاتولوجيا (Eschatologia، أي النِّهاية العُظمى) تُضيء البروتولوجيا (Protologia، أي أصله)، إذ تُضفي على بِدايته معنى يحثُّه على التجاوب مع الله في الكايْرولوجيا (Kairologia، أي في وقته المُناسب).

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل التاسع

قضيّة الخطيئة الأصليّة

المُقدِّمة

أوّلًا - تعريفات مفهوم الخطيئة الأصليّة

تُعرِّف بعضُ القواميس غير الدينيّة الخطيئة الأصليّة على النحو الآتي:

«الخطيئة التي اقترفها آدم، الإنسان الأوّل
والتي كلُّ إنسان مُذنب بها».

«خطيئة الإنسان الأوّل
التي تنتقل إلى جميع أحفاده».

وبحسب أوغسطينس، إنّ الله قد أغلق على البشر في

«الحشْد المُدان» (Massa damnata)،

ليُخلِّصهم منها، كما يقول بولس.

فيتضمّن إذًا مفهوم الخطيئة الأصليّة **أربعة أقطاب**: خطيئة آدم / نقلها إلى ذُرِّيّته / ذنب الأحفاد ذنبًا جماعيًّا وشخصيًّا / خلاص الله منها.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ثانيًا - النظرة النقديّة إلى مفهوم الخطيئة الأصليّة

ثمّة قِراءات مُختلفة مُتباينة تُحاول فهم الخطيئة الأصليّة، نذكر أهمّها، ونُشير إلى الردِّ عليها:

القِراءة الأُصوليّة

* **شرح أصل** الشرِّ والبؤس والألم والعُنف والظُّلم والموت... بمفهوم الخطيئة الأصليّة المُدوّنة في الوحي الإلهيّ، بيْد أنّ **الرجاء في خلاص الله منها** هو الهدف الحقيقيّ.

* **الكسل الفِكريُّ** الذي يُرجع القضيّة إلى أُصول مجهولة تاريخيًّا، لأنّ الوضع البشريّ الأُنطولوجيّ لا يخضع للتاريخ، بل يتّسم بسِمة المجهول. إلّا أن **كلمة الله** توحي بالحقيقة وتستدعي من الباحث مجهودًا فِكريًّا لاهوتيًّا.

* **الشرح المُبسَّط المُسطَّح** الذي يدّعي التوضيح، والذي يُعقِّد بالفِعل الموضوع لا سِيّما للفِكر السليم الذي يُحاول أن يفهم.

* فهْم معنى الخطيئة الأصليّة فهمًا **حرفيًّا**، في حين أنّه **بالتماثُل** (analogique) لأنّ الخطيئة تنبع من إرادة حُرّة مسؤولة، كما سبق أن أشرنا إليه. فالطِّفل يحمل آثار الخطيئة الأصليّة، ولكنّه لم يقترفها.

القِراءة الإيديولوجيّة

النزعة الإنسانيّة المُتفائلة المُتضمِّنة في 'أُسطورة التقدُّم' التي تؤمن بالطِّيبة البشريّة الأصليّة (جان جاك روسُّو في القرن الثامن عشر مثلًا)، من دون أن تأخذ في الاعتبار سائر العناصر الإنسانيّة، منها الخطيئة الأصليّة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

على نقيض الخطر السابق، ثمّة التركيز على **التضامن البشريِّ في الشرِّ والخطيئة**. إلّا أنّه يُشدِّد على الحتميّة ففُقدان الإنسان حُرِّيّته، والنظرة إليه نظرة سلبيّة، ولا سِيّما إلى الجِنس، بيْد أنّ التضامن في الخير والخلاص هو أيضًا من المُقوِّمات البشريّة الأساسيّة، لأنّها تفتح آفاق شاسعة أُخرى على الوضع البشريِّ عامّة، وعلى تحرير اللهِ الإنسانَ منها فاشتراك الإنسان فيه لعدم الانغلاق في الخطيئة الأصليّة وعلى حتميّتها.

القِراءة العقلانيّة

رفْض الأساطير الكِتابيّة التي تعتمد عليها عقيدة الخطيئة الأصليّة، خاصّةً بفهْم تِلك الأساطير فهمًا أُصوليًّا حرفيًّا تاريخيًّا، مِنه ظاهرة الموت البيولوجيِّ الذي يسبق خطيئة الإنسان والذي ليس سببه خطيئة الإنسان. إلّا أنّ الرفض لا يُقدِّر **معنى رمزيّة الأساطير الأنثروبولوجيّة** معنى تأويليًّا اعتمدناه في مسيرتنا كُلِّها من بِدايتها إذ تؤدّي الأُسطورة إلى التفكير. فضلًا على أنّ النُّصوص الكِتابيّة رزينة إذ تنظر إلى الأمام، أي الخلاص، أكثر منه إلى البِدايات.

نظرًا إلى تقصير جميع هذه القِراءات، نتبنّى، من جِهتنا، **قِراءة تأويليّة**، سنُحدِّد لاحقًا مضمونها وملامحها.

ثالثًا - مفهوم الخطيئة الأصليّة بين ميزاته وحُدوده

لمفهوم الخطيئة الأصليّة مزايا كثيرة، وكذلك حُدود كثيرة، نُحاول إظهارها:

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بين الأصل التاريخيّ والوضع البشريّ

يُظهر مفهوم الخطيئة الأصليّة «**قِوى الشرّ**»، أو «سِرِّ الإلحاد» (بولس)، أو «خطيئة العالم» (يوحنّا)، التي تعمل في الكون وفي تاريخ البشريّة، فالقضيّة أشمل من الشخص الذي يختبر، عِندما يعيش ويعمل، مُقاومة قِوى أعظم منه تؤدّي به إلى اقتراف الخطيئة والشرّ. فما وصَفه الكِتاب المُقدَّس بنظرة 'تاريخيّة'(بالفرنسيّة: Diachronie)، إرثًا من أبوينا، تصفه العقيدة بِنظرة 'الوضع' البشريّ المُستديم (Synchronie). وقد أطلق البابا يوحنّا بولس الثاني تسمية «بِنيات الخطيئة» (Structures de péché)، تعبيرًا منه عن آثار القِوى الشرِّيرة في المُجتمعات البشريّة على جميع أصعدتها (**الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ**، ٣٦-٣٧).

شخصيّة آدم الدامجة البشريّة

وأمّا **شخصيّة آدم**، فقد اعتبره تيّار مُعاصر '**شخصيّة دامجة**' (Personnalité corporative)، أي أنّها تُمثِّل الشعب، في تفاعل بين ذلك الشخص (الملك، الآباء البطاركة، عبد يهوه المُتألِّم...) وشعبه، في علاقة لا تشترط 'الوِراثة'، بل 'التمثيل'، النُّموذج؛ وكأنّ الشعب كُلّه حاضر في تِلك الشخصيّة، ولا يرث منها الخطيئة لأنّه هو أيضًا خاطئ ومُذنب. وبالرغم من ذلك، فإنّ للخطيئة الأُولى، أو 'الخطيئة في الأصل' بحسب أوغسطينس، أثرًا في سائر الخطايا. إنّ تيّار 'الشخصيّة الدامجة' يُركِّز على البُعد 'الأُفقيّ' بين البشر في الخطايا، ولكنّه يتجاهل البُعد 'العموديّ' في خطيئة آدم.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إظهار التضامن البشريّ في حتميّة الشرّ

تؤثِّر الخطيئة الأصليّة في الإنسان وتجرحه في حياته وتصرُّفاته، وتدفعه إلى الخطيئة (راجع **تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة**، ٤٠٥، ٣٩٠-٣٩٥)، وتُشوِّه صورة الله، ولكن من دون أن تُلغيها. يستدعي إظهار التضامن في الشرِّ إظهار **التضامن في الخير وفي الخلاص** أيضًا (راجع **المرجع نفسه، ٣٨٨-٣٨٩**)، وذلك بفضل الله، حيث إنّ آدم الجديد أهمُّ من آدم الأوّل، واشتراك الإنسان فيه أكثر من تحمُّل حتميّة الخطيئة، كما استفضنا في إظهاره. فضلًا عن النظرة **الإسكاتولوجيّة التي توحي بالرجاء** حيث إنّ قِوى الشرِّ هي «غير مُطلقة»، بالرغم من المظاهر، بل خاضعة لله في نِهاية المطاف البشريّ (غوسْتافْ مارْتِليه اليسوعيّ). وبتعبير آخر، ينبغي التمسُّك بالأصل والماضي الأُسطوريّين / بالحاضر والمُستقبل التاريخيّين معًا، بالخطيئة / الخلاص معًا، بدور الله / الإنسان معًا.

وِراثة الخطيئة الأصليّة

ينبغي فهم **وِراثة الخطيئة الأصليّة** على أنّها

«سِرٌّ فلا نقدر أن نفهمها فهمًا كاملًا»،

أكثر من أنّها

«تؤثِّر في الطبيعة البشريّة»،

وتجعل الإنسان يميل إلى الخطيئة ويندفع نحوها. كما أنّها ليست مُحاكاة لما حدث لأبوينا (**تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة**، ٤٠٤؛ راجع **المجمع التريدانْتينيّ**)

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بين الحالة العامّة والأفعال العينيّة

تكمن ميزة عقيدة الخطيئة الأصليّة في أنّها تُوضِّح **حالة البشريّة الشاملة** التي يولد ويعيش فيها الإنسان؛ إلّا أنّها تتجاهل الإنسان في **وُجوده العينيّ الشخصيّ** الذي لا يُمكن حصره في مفهوم شامل نظريّ. فإن جاز الانطلاق من الخطيئة الأصليّة لفهم الخطايا الواقعيّة، إلّا أنّه يُمكن تبنّي خِطاب لاهوتيٍّ مُعاكس تمامًا ينطلق من الخطايا الواقعيّة المُقترفة لفهم عُمقها الذي توضِّحه عقيدةُ الخطيئة الأصليّة، إذ لا يخلق كُلُّ كائن بشريٍّ العالم الذي يعيش فيه، بل يرث ماضيًا بشريًّا موجودًا بدونه، لا يُمكن تجاهله لأنّه موضوع اختبار مُستديم. غير أنّ ذلك الماضي ليس بمثابة حتميّة، بل مُجرَّد حالة وظُروف ومواقف؛ وليس هو سلبيًّا فحسب، بل إيجابيٌّ أيضًا بقدر ما يستفيد الشخص من خِبرة الآخرين في الماضي وفي الحاضر[1]، بقدر ما الشخص 'لا ينحصر' (بالفرنسيّة: Irréductible – Irréductibilité) في ظُروفه، بل يتجاوزها ويتعالى عليها عِندما يتّخذ موقفًا مُحدَّدًا حُرًّا مسؤولًا، وإن كان خاضعًا لظُروف داخليّة وخارجيّة، وفرديّة واجتماعيّة، وتاريخيّة وحاليّة، هي وضعُ البشريّة الواقعيِّ الذي لا ينحصر في خطيئة إنسان واحد – آدم –[2].

---

(١) تِلك نظرة الأب غوستافْ مارْتيليه اليسوعيّ (راجع البيبْليوغرافيا) التي تُعبِّر عن الخِطاب اللاهوتيّ المُعاصر.

(٢) تِلك نظرة الأب كارْل راهْنِر اليسوعيّ الذي أثّر في الخِطاب اللاهوتيّ المُعاصر، لا سِيّما في المجمع الفاتيكانيّ الثانيّ. ينبغي الخُروج من النظرة الفردانيّة – حُرِّيّة الفرد مُجرَّدة عن الواقع –؛ وذلك ما أظهره تِلميذه الأب جان – باتيسْت ميتْز عِندما حلّل مدى تأثير الظُّروف الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والبيئيّة...

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بين الذنب والمسؤوليّة

وامتدادًا لذاك، في ما يتعلّق **بالمسؤوليّة** الشخصيّة، ينبغي تحاشي الوُقوع في عُقدة الذنب بوجه عامّ، للاعتراف بالخطإ والخطيئة عِند اقترافها اعترافًا عينيًّا:

«**لستُ مُذنبًا** [. . .]
بل أنا مُذنب **في** [هذا أو ذاك]».

وذلك لأنّ الإنسان 'لا يُحصَر' في خطاياه، مهما عظُمت، بل هو أعظم منها ويتعالى عليها، وبوُسعه أن ينفيها بندمه واهتدائه وتصميمه على التغيير.

(Adolphe GESCCHE, *Dieu pour penser,* T I, p. 109-116).

من حُدود الخطيئة الأصليّة، أنّها **تُعقلِن قضيّة وُجوديّة** تنبع منها صرخة وشكوى، كما تلمّسناه، بدون أن تُجيب عنها، بل تحصرها في **قضيّة أخلاقيّة**، سواء أكان بيلاجيوس أم أوغسطينس: فأمّا بيلاجيوس، فمُبتغاه مسؤوليّة الحُرِّيّة الشخصيّة (كما أبرزها إرميا وحِزقيال بكلامهما على المسؤوليّة الشخصيّة، لا المُتوارثة من الآباء)؛ وأمّا أوغسطينس، فمُبتغاه إظهار قِوى شِرّيرة تسبق حُرِّيّة الشخص ومسؤوليّته. فنظرتهما أخلاقيّة، تتّسم نظرة أوغسطينس بالعُمق الفِكري، إذ إنّها تُوضِّح سبب القضيّة المطروحة وهو تحديدًا الخطيئة الأصليّة مصدرِ الشرّ، ولكنّها تُسكت صرخة الشكوى والألم والاحتجاج؛ وتتّسم نظرة بيلاجيوس من جِهتها بأنّها أقرب إلى الحقيقة، إذ إنّها تُوضِّح دور الإرادة الحُرّة المسؤولة، ولكنّها تتجاهل الصرخة الوُجوديّة هي أيضًا. فكلتا النظرتين لا تُواجهان القضيّة مُواجهة وُجوديّة، بل فِكريّة وأخلاقيّة.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخُلاصة

وحتّى لا نقع في فخّ ترديد ما قيل، لا بُدّ من **'تأويل'** (Herméneutique)[٣] التقليد الموروث من أيّام أوغسطينس.

رابعًا - نحو تأويل مفهوم الخطيئة الأصليّة

ثمّة **تيّاران لاهوتيّان**: **عبثيّة** الخطيئة الأصليّة من جِهة / إمكانيّة **مُقاومتها** من جِهة أُخرى. وهُما بالفِعل وجها ما سبق أن رأيناه في كلامنا على الاعتراف بالشرّ / مُحاربته، وكذلك اقتراف الخطيئة / الخلاص منها.

عبثيّة الخطيئة الأصليّة

تظهر العبثيّة في ثلاثة اتّجاهات مُختلفة عرفها الخِطاب اللاهوتيّ:

* التركيز على **آدم** الذي يُمثّل البشريّة جمعاء: البحث عن خطيئة في الأصل، في بِداية تاريخ البشريّة، قد أثّرت في مجراه وهي مسؤولة.

إلّا أنّ لآدم عُذرًا (إبليس)، وللإنسان مسؤوليّته الشخصيّة الحُرّة، بدون التخلّي عنها وتحميل آدم إيّاها؛

* التركيز على **الحيّة**: إنّ 'خطيئة الملائكة'، المُتمثّلة بالحيّة، هي أصل إغراء آدم.

---

(٣) إنّ **الخِطاب اللاهوتيّ التأويليّ** ينطلق من تساؤلات مُعيّنة - وُجوديّة أو نظريّة أو غيرها - يحملها صاحبُ الخِطاب، فيبحث في الكِتاب المُقدّس وفي التقليد الكنسيّ، في حِوار بينه وبينهما، عن إجابات وعن تساؤلاته.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

إلّا أنّ الكِتاب لا يُكثر من الكلام عليها، بل على الإنسان؛

* التركيز على **الوضع البشريّ** نتيجة سُقوط آدم في حِبال الحيّة.

ولكنّنا سنُعالج الموضوع من حيث **التيّارات اللاهوتيّة المُختلفة** المبنيّة على هذه الاتّجاهات الثلاثة:

١ - **الأنثروبولوجيا الشرقيّة** الذي يُدقّق النظر إلى **'تألُّه'** الإنسان، أكثر منه إلى الخطيئة لأنّها تتسم بغير الوُجود (بتأثير أفلاطونيٍّ واضح)، أو إلى وِراثة الخطيئة.

٢ - **الأنثروبولوجيا الإيرينيّة** التي تنظر إلى **الإنسان نظرة مُتفائلة**: هو شابٌّ ديناميٌّ يتطلّع إلى المُستقبل، وما أخطاؤه وهفواته وضعفاته (التي لا يُركِّز عليها إيريناوس) إلّا أحداث على طريق نُموِّه الذي يسمح به الله المُخلِّص الذي يُخرج الخير من الشرّ[٤].

٣ - **الأنثروبولوجيا الأوغسطينيّة**[٥] حيث إنّ الإنسان يولد في حالة الخطيئة. وإنّ مدلول الخطيئة لدى أوغسطينس ميتافيزيقيٌّ وفلسفيٌّ ونفسيّ، وكذلك هو **أنثروبولوجيٌّ** بمعنى أنّه يتعلّق بالوضع الإنسانيّ بعامّة، لا بآدم بخاصّة؛ وما نظرته هذه قضيّة نظريّة، بل **وُجوديّة** تختصُّ بكُلِّ إنسان[٦]، وقد اختبرها هو شخصيًّا عِندما عاش

---

(٤) لقد اتّضحت لنا نظرة إيريناوس هذه في المُجلَّد الأوّل.

(٥) أوّل مَن أبدع عِبارة 'الخطيئة الأصليّة' هو أمبروسيوس، أُسقف ميلانو وأُستاذ أوغسطينس الذي حلّلها لاهوتيًّا فتداولها الغرب من بعده.

(٦) بهذا المعنى، إنّ عُلماء النفس والفينومينولوجيا قريبون جدًّا من مُداخلة أوغسطينس هذه، مع الفارق اللاهوتيّ الذي يُميِّز النظرة الأُوغسطينيّة حيث الإنسان يظلُّ صورة الله بالرغم من الخطيئة، ومن هُنا المعنى الخلاصيّ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

في الخطيئة[٧]، وحرّره الله من سُلطانها فاختبر الخلاص الحقيقيّ، وقد تجاوب معه باهتدائه الأصيل[٨]. فاختبار الخطيئة يُلازمه اختبار الخلاص من الخطيئة؛ وإن كان الإنسان خاطئًا، فهو خاطئٌ أصبح مُخلَّصًا مُبرَّرًا مُحرَّرًا.

مُقاومة عبثيّة الخطيئة الأصليّة

وأمّا إمكانيّة **مُقاومة العبثيّة**، فتكمن في **حُرِّيّة الإنسان** الذي أنعم الله بها عليه، إذ خلّصه منها ووهبه نِعمته ليقدر أن يُقاومها بالانفتاح على الله منبعِ الحياة[٩]. هكذا، فلا تغلق الخطيئة الأصليّة الإنسان عليها أو على ذاته، بل تفتح له آفاق التحرُّر من سُلطانها.

خامسًا - نحو خِطاب لاهوتيٍّ حول وِراثة الخطيئة الأصليّة

إنّ ذلك الجانب من الخطيئة يُمثِّل **بُعدها الموضوعيّ الشُّموليّ**.

---

(٧) الخطيئة «حِجاب على العينين» يمنع من الرؤية، بل ومن رؤية الحِجاب نفسه. وسُلطان الخطيئة يجعله يشعر بأنّه ضحيّة، ولا مسؤول عن خطيئته (Paul AGAËSSE SJ).

(٨) نتذكّر أصل الإنسان 'المُتّجه نحو' الله (Tendere)، وما الاهتداء سِوى العودة إلى ذلك الاتّجاه الأصليّ. وذلك الاتّجاه الأصليُّ حركة ديناميّة (أكثر منه وصف جامد) وعلائقيّة (موضوعه علاقة الإنسان بالله). وفي ما يتعلّق بالاهتداء والتوبة، يقول أحد اللاهوتيّين المُعاصرين في دراسته الأوغسطينيّة: «الاعتراف بالخطيئة هو بمثابة اعتراف الشخص بذاته، ووضع ذاته فوق القَدَر (باللاتينيّة: Fatum)» (Jean-Marie LEBLOND SJ).

(٩) راجع في المُلحق الثاني من المُجلَّد الأوّل: **خواطر شخصيّة في سِرِّ نِعمة الله وحُرِّيّة الإنسان**.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بين بيلاجيوس وأوغسطينس

بما أنّ تعبير 'الخطيئة الأصليّة' يعود إلى **أوغسطينس**، وفهْمَه إيّاها على أنّ البشر يتوارثونها من آدم، فلا بُدّ أن نُوضِّح الإطار اللاهوتيّ الذي أدّى بأوغسطينس إلى ذلك المُعتقد. الواقع أنّ **بيلاجيوس** - المعروف بنزعته الأنثروبولوجيّة التي اعتمدت على حُرِّيّة الإنسان، وذلك على حِساب نِعمة الله - كان يعتقد باستقلال كُلِّ إنسان عن آدم، فأبطل فِكرة توارث الأجيال البشريّة خطيئةَ آدم الأُولى، مُركِّزًا على حُرِّيّة الإنسان في اقترافه أيِّ خطيئة. وأمام هذه النظرة المُتطرِّفة التي تتجاهل التضامن بين آدم والبشريّة، ركّز أوغسطينس، من جِهته، على العلاقة السببيّة، فاعتبر أنّ خطيئة آدم هي سبب خطايا البشر، وبالتالي أبدع صيغة 'الخطيئة الأصليّة':

«**في** ذلك الإنسان الأوّل إنّ الجميع قد خطئوا
لأنّ الجميع كانوا **فيه** عِندما خطئ هو»
(**ضِدّ خِطابين للبيلاجيّين**، ٤/ ٤/ ٧).

الحقُّ يُقال إنّ أوغسطينس، لِيُحارب تطرُّف خِصمه، وقع هو في تطرُّف مُعاكس: فكلتا **الاستقلاليّة البيلاجيّة / السببيّة الأوغسطينيّة** نظرتان مُتطرِّفتان. فلا بُدّ من تأكيد العلاقة بين خطيئة آدم وخطايا البشر (على خِلاف نظرة بيلاجيوس)، ولكن بدون اعتبارها علاقة سببيّة (على خِلاف نظرة أوغسطينس)، ذلك لأنّ بولس - وقد فسّر بيلاجيوس وأوغسطينس كلامه في روم ٥/ ١٢ - أقرّ بالتضامن والصِّلة، ولكن بدون أن يتطرّق إلى طبيعتهما، تاركًا هكذا الموضوع مفتوحًا. هكذا ينبغي أن تسمح لنا العلاقة الارتباطيّة بتفاسير مُختلفة تتحمّلها النظرة البولُسيّة. وذلك تحديدًا ما يقترحه أحد المُفسِّرين الذي يُترجم كلام بولس بقوله:

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«**النتيجة** أنّ الجميع خطئوا»[١٠]

(John FITZMYER, *Romans*, NY, Doubleday, 1992, p. 405).

بين أصل الخطيئة الأصليّة ونِعمة خلاص الله

وخِتامًا لموضوع وِراثة الخطيئة الآدميّة، من الأفضل التركيز، لا على **أصل الخطيئة البشريّة**، بل على **نِعمة الله المُخلِّصة من الخطيئة**. تِلك النظرة اللاهوتيّة قد تبنّيناها عِندما شرحنا العِبارة البولُسيّة «كم بالحريّ»، حيث التركيز، لا على آدم الأوّل (بدون إنكار دوره)، بل على آدم الثاني، يسوع المسيح الذي خلّص البشريّة من عُبوديّة الخطيئة. هذه هي الكلمة الأُولى والأخيرة. وإنّما ذلك الخلاص يتّسم بالشُّموليّة، إذ إنّ الله

«يُريد أن يُخلِّص جميع الناس»
(١ طيم ٢/ ٤).

فهو بالفِعل

«مُخلِّص الناس أجمعين»
(١ طيم ٤/ ١١).

الخاتمة

في نِهاية جولتنا في مفهوم الخطيئة الأصليّة، ينبغي لنا الاعتراف بأنّه **ليس أمرًا بديهيًّا**، بالرغم من أنّ الأجيال السابقة قد

---

(١٠) عِوضًا عن «**بما أنّهم**»، أو «**لأنّهم**»، أو «**فيه** [آدم]». . . فبحسب بولس، ليس آدم مُجرّد شخص تاريخيّ، بقدر ما هو شخص يتضمّن البشريّة جمعاء أيضًا، ما سمح لبولس بأن يُقارنه بيسوع المسيح آدم الثاني المُخلِّص.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

تبنّته بلا مُشكلة. **لا غُبار على المضمون**، فنحن نولَد ونعيش في بيئة موبوءة، وفي حالة من الفساد العامّ، ومن أنكر ذلك، أو توقّع أنّه يُمكن إصلاح ذلك بالعمل السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ...، وقع في قدر كبير من السذاجة، فوضْعنا البشريُّ مأساويٌّ أكثر مِمّن يتصوره بعض الناس. وأمّا **المُشكلة، فتكمن في التعبير**، حيث الجمع بين خطيئة غير شخصيّة فليست خطيئة، ووضع شامل يعمُّ الجميع. فضلًا عن **أولويّة تدقيق النظر** على **خلاص الله** و**دعوته إلى الإنسان** ليشترك معه في الخلاص، بل ليدخل في عهده الجديد الأبديّ.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل العاشر

قضيّة الموت

المُقدِّمة

لاشكّ أنّ **ظاهرة الموت** في العالم الحيوانيّ تسبق خطيئة الإنسان، ما يعني أنّ الموت ليس نتيجة الخطيئة. فكيف يُمكننا فهم كلمة سِفر التكوين وكلام بولس الصريح؟ ثمّة مخرجان: قد يكون المقصود الموت الجسديّ أو الموت الروحيّ.

أوّلًا - الموت الجسديّ؟

قد يكون **الموت الجسديُّ** نتيجة الشرِّ الموجود في الكون قبل الإنسان، فورثه الإنسان من جرّاء طبيعته الحيوانيّة، أكثر منه نتيجة الخطيئة، وقد روْحَنَه الروحانيّون، مُعتبرين إيّاه **عِقابًا** من الله على خطيئة الإنسان.

فالواضح، من كلام بولس، أنّ **الخطيئة دخلت العالم، وكذلك الموت** (روم ٥/ ١٢). فلم يكونا في قصد الله، لأنّ الله إله الحياة وإله الأحياء، ويعِد بالحياة الأبديّة.

وفي هذا السِّياق، اعتبر بِيار تِيار دي شَرْدان اليسوعيُّ أنّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الموت علامة نِهائيّة الإنسان، ذلك بأنّ التطوُّر يفترضه (والإنسان، بجسده، يشترك في مصير الطبيعة: «الإنسان الأوّل من التُّراب، فهو أرضيّ»: ١ قور ١٥/ ٤٧)، في مسيرة 'المُتعدِّد' (كما يقول الفلاسفة، و«الخواء» كما رأيناه في رِواية الخلق) نحو 'الواحد' («المسيح - أوميغا»)، وفي هذا الإطار، إنّ جميع الآلام والعذابات والخطايا تعترض 'الواحد'.

ويُشير تِيار دي شَرْدان إلى أنّ الإنسان، مُنذ القِدم، يُقاوم الموت، ذلك بأنّ الاكتشافات الأثريّة أظهرت **آثارًا للدفن** في ما قبل التاريخ، ترقى إلى مائة ألف سنة. هل يعني ذلك بِدايات الإيمان بما بعد الحياة؟ من الأكيد أنّه يدلُّ على رفض الإنسان الموت، واعتراضه ضِدّ الطبيعة التي تُخضعه، وتُسيطر عليه، وتُلاشيه في أحضانها. وما آثار الدفن، في نِهاية الأمر، إلّا الدليل القاطع على تسامي الإنسان على الطبيعة، حتّى وهو ميت.

وعِندما أوْحت الحيّة إلى آدم وحوّاء:

«موتًا لن تموتان»
(تك ٣/ ٤)،

فقد كذبت كذبًا، بمعنى أنّ الموت الجسديّ كان لهما ظاهرةً واضحة، فأغرتهما بأنّهما لن يعودا يخضعان لذلك الموت.

ثانيًا - الموت الروحيّ؟

قد يكون المقصودُ **الموتَ الروحيّ**، لا الجسديّ، كما رآه العديد من الآباء الشرقيّين، وذلك بمعنى أنّ عِصيان الله هو موت روحيٌّ حقيقيّ، لأنّ الإنسان مدعوٌّ إلى المُشاركة في حياة الله.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فليس الموت إذًا عِقابًا إلهيًّا، بل هو **من صُنع إبليس** الذي يرغب في تدمير الحياة التي منبعُها الله:

«خلق الله الإنسان لعدم الفساد
وجعله صورة ذاته الإلهيّة.
ولكن، بحسد إبليس، دخل الموتُ إلى العالم
فيختبره الذين هُم من حِزبه»
(حِك ٢/ ٢٤، راجع ١/ ١٤-١٦).

وقد حثّ إبليس آدم وحوّاء على الحسد من الله (وكذلك قاين من أخيه هابيل)، ليُبعدهما من الله ومن حياة الله: فإذا تصرّفا بموجب تحريضه، أصبحا خاضعيْن له، لا لله تعالى.

ومِمّا شجّع على قِراءة الموت قِراءة روحيّة، **إشكاليّة مصير الأبرار والأشرار**، يُعبِّر عنها سِفر الحِكمة هكذا:

«أمّا نُفوس الأبرار فهي بِيَد الله
فلا يمسُّها أيُّ عذاب.
في أعين الأغبياء يبدو أنّهم ماتوا
وحُسب ذهابُهم مُصيبة
ورحيلهم عنّا كارثة.
لكنّهم في سلام
وإذا كانوا في عُيون الناس قد عوقبوا
فرجاؤهم كان مملوءًا خُلودًا.
[...]
أمّا الكافرون
فسينالهم العِقاب المُناسب لأفكارهم [...]
(حِك ٣/ ١-١٢).

فمن الواضح أنّ ظاهرة الموت الجسديّ ليست هي الأساسيّة، بل

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مصير الموتى بعد موتهم الجسديّ: إمّا النعيم، أي الحياة مع الله، وإمّا العِقاب الأبديّ بعيدًا عن الله. إنّ طرح إشكاليّة الموت على هذا المِنوال - حيث التركيز على الموت الروحيّ أو الحياة الروحيّة بعد الموت الجسديّ - علامة **نُضوج في الفِكر الكِتابيّ**.

وعمّق العهد الجديد تِلك النظرة الروحيّة، لا سِيّما **فِكر يوحنّا** في كلامه على تضادّ الروح / الجسد، النور (الكلمة) / الظلام (رئيس هذا العالم)، الحقّ (يسوع) / الكذب (إبليس)... وفي آية شِفاء المولود أعمى (يو ٩)، إنّ العمى الحقيقيّ هو عدم رؤية أعمال الله، ما أظهره يسوع عِندما أعاد النظر إلى الأعمى، بيْد أنّ غير المؤمنين ينظرون ولا يرون أعمال الله. وفي مثل الآب الرحيم (لو ١٥)، اعتبر ابنَه الضالّ «ميتًا» بسبب ابتعاده عنه، إلّا أنّه أُعيدت له الحياة باهتدائه.

وكذلك أمر **فِكر بولس** في روم ٦ و ٨ وغل ٥، حيث الخطيئة وشريعة الخطيئة وأعمال الجسد تؤدّي إلى الموت (الروحيّ)، وأمّا النِّعمة وشريعة الروح وثمر الروح فإلى الحياة (الروحيّة مع الله). كما يظهر نُضوج بولس الروحيُّ في مُقاربته بين آدم الأوّل وهو «نفس حيّة» (باليونانيّة: eis psuchên zôzan)، شأنه شأن الحيوانات وكُلِّ ما هو أرضيٌّ وهو يؤول إلى الموت (تك ١/ ٢٠) / آدم الثاني وهو «روح مُحيي» سماويّ (eis pneuma zôopoioun: ١ قور ١٥/ ٢٢، ٤٥-٤٩).

ثالثًا - انتصار يسوع المسيح على الموت

وما **عمل المسيح الخلاصيُّ** إلّا أنّه هزم، بموته، عمل إبليس هذا:

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

«كسر بموته شوكة ذاك الذي له القُدرة على الموت
أي إبليس»
(عِب ٢/ ١٤-١٥).

وبهذا المعنى، فقد اعتبر يسوعُ إبليسَ

«قتّالًا للناس مُنذ البدء»
(يو ٨/ ٤٤، راجع ١ يو ٣/ ٨، رؤ ١٢/ ٩ و ٢٠/ ٢).

ومن هُنا هُتاف بولس **لانتصار المسيح على الموت**:

«أين، يا موت، نصرك؟
وأين، يا موت، شوكتك؟
إنّ شوكة الموت هي الخطيئة
وقُوّة الخطيئة الشريعة.
فالشكر لله الذي آتانا النصر
عن يد ربِّنا يسوع المسيح»
(١ قور ١٥/ ٥٤-٥٧).

فإنّ المسيح، بسِر موته / قِيامته، حرّر الإنسان من الشريعة، والخطيئة، والموتِ وهو آخر عدوٍّ له. وإنّ **انتصاره هذا فيض**، إذ تفيض حياته حيث سادت الشريعة، وكثرت الخطيئة، وتسلّط الموت. فليس عمله إصلاحًا، بل **جديد**:

«قال الجالس على العرش:
هاءنذا أجعل كُلّ شيء جديدًا»
(رؤ ٢١/ ٥)،

كما أنّ الروح القُدس هو «المُحيي».

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

رابعًا - اشتراك الإنسان مع الله في الانتصار على الموت

ولمّا تطلّب الأمر **اشتراك الإنسان مع الله في الخلاص**، عبّر بولس عنه بعِبارات الموت، وهو **الموت** عن الذات وعن الخطيئة، وذلك في سبيل **الحياة** مع الله:

«بموته قد مات عن الخطيئة مرّة واحدة
وفي حياته يحيا لله.
فكذلك احسبوا أنتم أنّكم أموات عن الخطيئة
أحياء لله في يسوع المسيح.
فلا تسودنّ الخطيئة جسدكم الفاني...»
(روم ٦/ ١٠-١٢، راجع ١-١٤).

الخاتمة

يُمكن تلخيص ما توصّلنا إليه بشأن **قضيّة الموت** في المقولات الآتية:

* ثمّة ظاهرة **الموت الجسديّ التي تسري في الكون كُلِّه، ومصدره إبليس** القتّال، لا الله وهو إله الحياة، لا الموت.

* **وعدت الحيّة آدم وحوّاء بعدم الموت** الذي كان حولهما، ذلك إذ إنّ إبليس كذّاب وأبو الكذب.

* بطاعتهما الحيّة، **أصبحا خاضعين لسُلطان إبليس القتّال، لا سِيّما للموت الجسديّ والروحيّ**. وكان الله يعِدهما بالحياة بالرغم من وُجود الموت حولهما، وذلك ما فقداه بسبب طاعتهما إبليس.

* **انتصر يسوع المسيح على الموت بموته** فكسر شوكته وأبطل نُصرته.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

* لكنّ إبليس لا يزال يقتل، و«**آخر عدوٍّ**» **سينتصر عليه المسيحُ نِهائيًّا هو الموت** تحديدًا، وذلك بانتهاء التاريخ البشريِّ الذي يُرادف انتصار المسيح على الموت في مجيئه الثاني المجيد.

* وفي انتظار ذلك الانتصار الكُلِّيّ، **يتنعّم الإنسان بعد موته، من الآن، بالحياة الأبديّة، بروحه** فقط، لحين **اشتراك جسده الذي سيقوم في نهاية التاريخ ويتّحد بالروح للأبد**. حينذاك سيرى اللهَ «وجهًا لوجه»، ما أطلق عليه اللاهوت المدرسيُّ تسمية «الرؤيا الطُّوباويّة».

* في نِهاية الأمر، ثمّة **قضيّتان أنثروبولوجيّتان أساسيّتان**:

قضيّة **الجسد** التي يُسبِّب موت الإنسان، وذلك شرّ / **الروح** الذي يجعل الإنسان كمِثال الله. وقد سبق أن حلّلنا ذلك في أماكن مُختلفة من دِراستنا.

قضيّة **الحُبِّ / الموت** (باليونانيّة: Eros / Thanatos)، وقد وصفهما فرويد في فلسفته، وقال فيهما سِفر نشيد الأناشيد:

«الحُبّ قويٌّ كالموت»
(نش ٨/ ٦).

حبُّ الله أقوى من الموت الذي سببه إبليس.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

البيبْلِيوغْرافيا العامّة

نذكر، بالإضافة إلى الكُتب الواردة في المُجلَّد الأوّل، وإلى المقالات الواردة في مَتن هذا المُجلَّد، الكُتب التالية:

* عزيز الحلّاق، **الخطيئة الأصليّة - كيف نفهمها اليوم**، سلسلة «موسوعة المعرفة المسيحيّة»، العقيدة ٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠.

* غوسْتاف مارْتُليه، **جواب على شكّ - الخطيئة الأصليّة والألم والموت**، نقله إلى العربيّة خليل رُسْتُم.

* François EUVE, *Crainte et Tremblement, Une histoire du péché*, Seuil, Paris, 2010.

* Paul RICŒUR, *Le Mal, un défi à la philosophie et à la théologie* – Labor et Fides, Genève, 3ème édition, 2004.

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

فِهرست المُحتويات

المُقدِّمة العامّة ٥

القِسم الأوّل: القِراءة الكِتابيّة والآبائيّة في الزلّة ٧
مُقدِّمة القِسم الأوّل ٩

الفصل الأوّل: **غواية الحيّة وتشويه علاقة الإنسان بالله** ١١
المُقدِّمة ١١
أوّلًا - «كانت الحيّة أحيل جميع حيوانات الحُقول» (تك ٣/ ١) ١١
إيريناوس بين آدم ويسوع ١٢
ثانيًا - «لا تأكلا من جميع أشجار الجنّة» (تك ٣/ ١) ١٣
ثالثًا - «ستصيران مِثل آلهة» (تك ٣/ ٥) ١٦
الإنسان الإله ١٦
انفتاح العُيون ١٨
العودة إلى تِلميذي عمّاوس ١٨
الخُلاصة ٢٠
رابعًا - تشويه صورة الله ٢٠
الكِتاب المُقدّس ٢٠
التقليد الشرقيُّ والصورة المُشوَّهة ٢١
أوغسطينس وخطيئة الكِبرياء ٢٣

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الخُلاصة ٢٨
خامسًا - عدم الاعتراف بالخطإ وعدم تحمُّل مسؤوليّته (تك ٣/ ٨-١٣) ٢٩
الخاتمة ٣٠

الفصل الثاني: **تشويه العلاقة بالذات وبين البشر** ٣٣
المُقدِّمة ٣٣
أوّلًا - حُبُّ الذات ٣٣
الاختلال البشريُّ الداخليّ ٣٤
بين الخطيئة والحياة الباطنيّة ٣٦
بين الحُرِّيّة وحُرِّيّة الاختيار ٣٨
ثانيًا - تشويه علاقة الرجل/ المرأة ٣٩
أوغسطينس ٤١
ثالثًا - تشويه علاقة الأخ بأخيه الإنسان ٤٥
من الانفصال عن الله إلى الانقسام بين البشر ٤٥
أنواع الخطايا ٤٧
الخُلاصة ٥١
الخاتمة ٥١

الفصل الثالث: **تشويه علاقة الإنسان بالخليقة** ٥٣
المُقدِّمة ٥٣
أوّلًا - علاقة الإنسان بالحياة ٥٣
ثانيًا - علاقة الإنسان بالموت ٥٥
إيريناوس ٥٥
الآباء الشرقيّون ٥٩
الخاتمة ٦٢

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الفصل الرابع: **وِراثةُ الزلّة، أي تضامن البشر في الخطيئة** ٦٣
المُقدِّمة ٦٣
أوّلًا - تعليم بولس ٦٣
ثانيًا - تعليم الآباء الشرقيّين ٦٥
ثالثًا - تعليم أوغسطينس ٦٦
الخاتمة ٦٧

القِسم الثاني: العهد الخلاصيّ ٦٩
مُقدِّمة القِسم الثاني ٧١

الفصل الخامس: **يسوع المسيح وتضامن البشر في العهد الخلاصيّ** ٧٥
المُقدِّمة ٧٥
أوّلًا - ملحمة الله الانحداريّة ٧٦
العهد الخلاصيُّ بسِرِّ فِصح يسوع المسيح ٨٠
سِرُّ فِصح يسوع المسيح بين التبرير والقداسة والمُصالحة ٨١
ثانيًا - تجاوب الإنسان تجاوبًا ارتقائيًّا ٨٣
التوبة والاهتداء ٨٣
الإيمان والمعموديّة ٨٥
التبرير والمحبّة ٨٦
الخاتمة ٨٧

الفصل السادس: **الروح القُدس وتضامن البشر في العهد الخلاصيّ** ٨٩
المُقدِّمة ٨٩
أوّلًا - الرغبة في الروح القُدس ٩٢

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وعد الله بعهد جديد ٩٢
انتظار الكنيسةِ الأُولى الروحَ بالصلاة حول مريم ٩٣
سُكنى الروح في تلاميذ يسوع ٩٣
ثانيًا - عمل الروح في اهتداء الخاطئ ٩٤
التحرُّر ٩٤
التطهير ٩٥
التجديد ٩٦
الحُرِّيّة ٩٨
ثالثًا - عمل الروح في نُموِّ حياة المؤمن المسيحيّة ٩٨
حياة الصلاة ٩٨
حياة التعليم والتذكير والإرشاد ٩٩
حياة الانقياد ١٠٠
حياة التمييز ١٠١
رجاء المجد الآتي ١٠٢
الخُلاصة ١٠٢
رابعًا - قِيادة الروحِ الكنيسةَ ١٠٢
عنصرة اليهود (رُسل ٢) ١٠٣
عنصرة الوثنيّين (رُسل ١٠) ١٠٤
حياة الكنيسة الناشئة ١٠٤
خامسًا - «يقول الروح للكنائس» ١٠٥
كنيسة أفسس (رؤ ٢/ ١-٧) ١٠٥
كنيسة إزمير (رؤ ٢/ ٨-١١) ١٠٥
كنيسة بِرْغامُس (رؤ ٢/ ١٢-١٧) ١٠٦
كنيسة تِياطيرة (رؤ ٢/ ١٨-٢٩) ١٠٦

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كنيسة سَرْديس (رؤ ٣/ ١-٦) ١٠٦
كنيسة فيلادِلْفيا (رؤ ٣/ ٧-١٣) ١٠٦
كنيسة اللاذقيّة (رؤ ٣/ ١٤-٢٢) ١٠٧
سادسًا - عمل الروح في الأسرار والمواهب ١٠٧
مواهب الروح القُدس ١٠٧
الروح القدس والأسرار ١٠٨
الخاتمة ١١٢

القِسم الثالث: قِراءة لاهوتيّة في الخطيئة والخلاص بين الأمس واليوم ١١٣
مُقدِّمة القِسم الثالث ١١٥
الفصل السابع: **قضيّة الشرّ** ١١٧
المُقدِّمة ١١٧
أوّلًا - طرح القضيّة فِكريًّا ١١٨
تزامُن الخير والشرّ ١١٩
من قبول وُجود الشرِّ إلى مُقاومته ١١٩
موقف الحُرِّيّة من الشرّ ١٢٠
ثانيًا - مُختلف الخِطابات لفهم قضيّة الشرّ ١٢٢
الخِطاب الأُسطوريّ ١٢٢
الخِطاب الحِكَميّ ١٢٣
الخِطاب الغُنوصيُّ وردُّ أوغسطينس ١٢٣
عِلم الله ١٢٥
الخِطاب اللاهوتيّ ١٢٧
الخُلاصة ١٢٩
ثالثًا - دور الإنسان في مُقاومة الشرّ ١٢٩

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المُقاومة الفِكريّة ١٢٩
المُقاومة العمليّة ١٣٠
المُقاومة الوِجدانيّة الروحيّة ١٣١
الخاتمة ١٣٢

الفصل الثامن: **قضيّة الخطيئة** ١٣٣
المُقدِّمة ١٣٣
أوّلًا - مضمون روح المسؤوليّة ١٣٣
المسؤوليّة وبُعدها الذاتيّ ١٣٤
المسؤوليّة وبُعدها الموضوعيّ ١٣٤
المسؤوليّة والتسامي ١٣٥
الخُلاصة ١٣٥
ثانيًا - الإحساس الشخصيُّ بالخطيئة ١٣٦
الخجل ١٣٦
الشُّعور بالذنب ١٣٦
ثالثًا - نحو خِطاب لاهوتيٍّ حول الخطيئة والخلاص ١٣٩
الخاتمة ١٤١

الفصل التاسع: **قضيّة الخطيئة الأصليّة** ١٤٣
المُقدِّمة ١٤٣
أوّلًا - تعريفات مفهوم الخطيئة الأصليّة ١٤٣
ثانيًا - النظرة النقديّة إلى مفهوم الخطيئة الأصليّة ١٤٤
القِراءة الأُصوليّة ١٤٤
القِراءة الإيديولوجيّة ١٤٤
القِراءة العقلانيّة ١٤٥
ثالثًا - مفهوم الخطيئة الأصليّة بين ميزاته وحُدوده ١٤٥

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

بين الأصل التاريخيّ والوضع البشريّ ١٤٦
شخصيّة آدم الدامجة البشريّة ١٤٦
إظهار التضامن البشريّ في حتميّة الشرّ ١٤٧
وِراثة الخطيئة الأصليّة ١٤٧
بين الحالة العامّة والأفعال العينيّة ١٤٨
بين الذنب والمسؤوليّة ١٤٩
الخُلاصة ١٥٠
رابعًا - نحو تأويل مفهوم الخطيئة الأصليّة ١٥٠
عبثيّة الخطيئة الأصليّة ١٥٠
مُقاومة عبثيّة الخطيئة الأصليّة ١٥٢
خامسًا - نحو خِطاب لاهوتيٍّ حول وِراثة الخطيئة الأصليّة ١٥٢
بين بيلاجيوس وأوغسطينس ١٥٣
بين أصل الخطيئة الأصليّة ونِعمة خلاص الله ١٥٤
الخاتمة ١٥٤

الفصل العاشر: **قضيّة الموت** ١٥٧
المُقدِّمة ١٥٧
أوّلًا - الموت الجسديّ؟ ١٥٧
ثانيًا - الموت الروحيّ؟ ١٥٨
ثالثًا - انتصار يسوع المسيح على الموت ١٦٠
رابعًا - اشتراك الإنسان مع الله في الانتصار على الموت ١٦٢
الخاتمة ١٦٢

البيبْلِيوغْرافيا العامّة ١٦٥
فِهرست المُحتويات ١٦٧

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

صدر في سلسلة «**دراسات لاهوتيّة**»

١ - **مريم أمّ الربّ ورمز الكنيسة**، ماكس توريان
٢ - **الإنجيل الحيّ في الكنيسة**، الأب برنار سيسبويه
٣ - **الأسبوع العظيم، في آلام المسيح وموته**، رومانو كوارديني
٤ - **قيامة المسيح**، رومانو كوارديني
٥ - **يسوع المسيح في تقليد الكنيسة**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
٦ - **خلاصة اللاهوت المريميّ**، الأب أوغسطين دوپره لاتور اليسوعيّ
٧ - **بين وحي الله وإيمان الإنسان**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
٨ - **مَن أنتِ أيّتها الكنيسة؟** الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
٩ - **سرّ الله الثالوث - الأحد**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
١٠ - **لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينيّة**، الأب وِلْيَم سِيدْهُم اليسوعيّ
١١ - **دراسة في الإسكاتولوجيا، الموت والقيامة، السماء والمطهر وجهنَّم**، الأب أوغسطين دوپره لاتور اليسوعيّ
١٢ - **دواعي الإيمان في عصرنا**، الأب جيوڤانّي مارتنتّي اليسوعيّ
١٣ - **لاهوت التحرير في أفريقيا**، الأب وِلْيَم سيدْهُم اليسوعيّ
١٤ - **لاهوت التاريخ البشريّ**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
١٥ - **مسألة الله في التاريخ - من الكتاب المقدَّس إلى الظاهرة الدينيَّة المعاصرة**، الأب ڤيكتور شلحت اليسوعيّ
١٦ - **مدعوّون إلى الحرّيَّة - دراسة في أُسُس الأخلاق المسيحيَّة**، الأب نادر ميشيل اليسوعيّ
١٧ - **لاهوت التحرير الآسيويّ**، ألُويزيوس بِيِيرِيس
١٨ - **الإنسان، ذلك السرّ العظيم**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ
١٩ - **الأسقف بين الأمسِ واليوم**، المطران أنطوان طَرَبيه
٢٠ - **إيماننا بين العقيدة والعمل، تعليم مسيحيّ للبالغين**، الأب روبير كليمان اليسوعيّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

٢١ - **محنة الإيمان، اجتهادات ومساءلات في الفكر الدينيّ المسيحيّ**، الأب مشير باسيل عون

٢٢ - **القدّيس أوْغسطينُس والأوغسطينيَّة**، هنري - إيرينيه مارّو

٢٣ - **أوراق بيئيّة - قراءة في لاهوت البيئة**، الأب سامي حلّاق اليسوعيّ

٢٤ - **تفسير الإنجيل الفصحيّ - القيامة**، الأسقف روان وليامْس

٢٥ - **الأُنثروبولوجيا المسيحيَّة - (١) الإنسان على صورة الله كمِثالِه**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

٢٦ - **علم لاهوت الأديان**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

٢٧ - **الأُنثروبولوجيا المسيحيَّة - (٢) الإنسان بين زلّته وخلاصه**، الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

التدقيق اللغويّ : **آن ماري شكّور**

تصميم الغلاف : **صفاء الفطايري**

الطباعة : **دكّاش برنتنغ هاوس**

٢٠١٥/٧/١٥-١-٢٥٢١

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

منشورات
دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفيّة، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان

التوزيع
مكتبة إسطفان
موزّعون - ش.م.ل.
ص. ب: ٥٠١٦٥، فرن الشبّاك
بيروت ـ لبنان

ISBN 2-7214-5504-4

Réf:RELDOGETL027A
coptic-books.blogspot.com